حسن مطلك

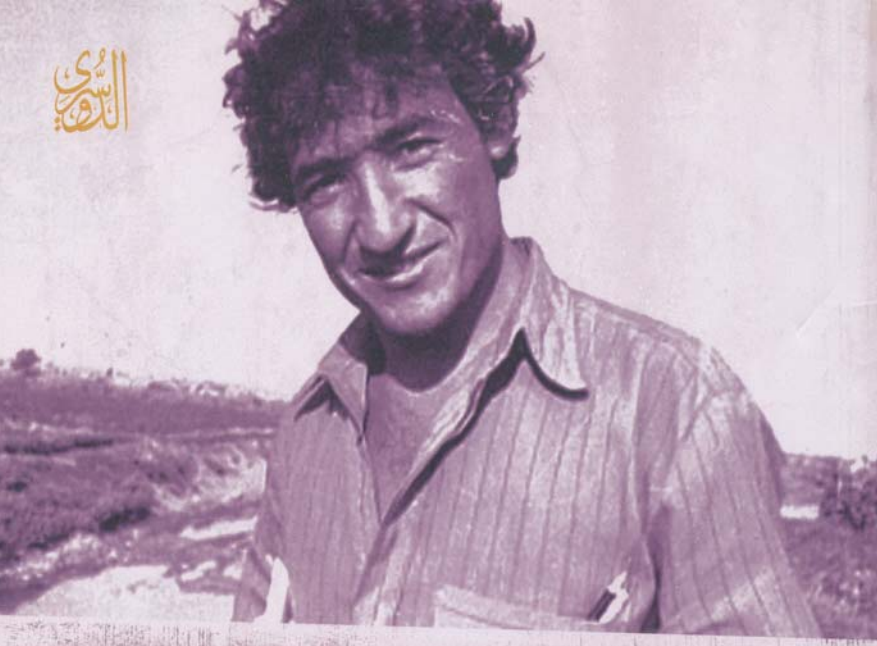

العين إلى الداخل

كتابة حرة / يوميات وقصائد

جمعها وأعدها للنشر د. محسن الرملي

مذكرات

@ketab_n
Follow Me
26.2.2016

حسن مطلك

العين إلى الداخل

(كتابة حُرة / يوميات وقصائد)

جمع أوراق هذه المخطوطة وأعدها للنشر

د.محسن الرملي

2011

Twitter: @ketab_n

العين إلى الداخل

Twitter: @ketab_n

العين إلى الداخل – (كتابة حُـرة / يوميات وقصائد)

حسن مطلك

إعداد: د.محسن الرملي

الطبعة الأولى 2011

ISBN 978-99958-3-004-5

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة – مملكة البحرين

د.ع 8896 / 2010م

جميع الحقوق محفوظة

منشورات مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع

مملكة البحرين – ص.ب: ١٨٣٦١

هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٥٦٤٠٣٠ – فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٥٦٤٠٦٠

الموقع على الشبكة: www.aldosariculture.com

البريد الالكتروني: info@aldosariculture.com

Al Dosari for Culture and Creativity

Kingdom of Bahrain - P.O.Box 18361

Tel: 0097317564030 - Fax 0097317564060

Website: www.aldosariculture.com

Email: info@aldosariculture.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع**

الإخراج الفنيّ والتصميم: محمد الإسكافي.

Twitter: @ketab_n

«عندما تكون العين إلى الداخل؛ تعكس صورة العالم دائماً»

حسن مطلك

«قوة الضحك في أورا»

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

1983

1983_6_4

انتهت دراستي الجامعية. جالسٌ الآن في غرفتي، في قريتي، أقرأ وأستمع إلى الموسيقى. لقد عزمتُ على شيء.. وإني لأرتجف حتى في الكلام عنه: أن أكتب رواية.. يا للهول..!.

روايتي الأولى ستكون كافية لقتلي أو إحيائي.. وإنني خائف.. أيما خوف!.

إنني أستجمع قوتي للوثوب، للافتراس، للبدء في الكتابة.. يا له من عمل شاق..!، أتهرب منه مثلما أشتاق إليه.

ـ سأبدأ مرحلة جديدة من عمري الآن.. وأختم بالنسيان على الماضي.. لقد كنتُ متعَباً.

Twitter: @ketab_n

1983_6_5

أنغام شوبان في غرفتي، وأنا وحيد وحزين.. حزين..

لقد قتلني (أوسكار وايلد) في (صورة دوريان جراي)

انتهت الآن.. بأنغام شوبان.. لقد قتلني.. وإنني أنتحب.. أنا محطَّم.. وأريد أن أكتب.. يا لغيرتي من هذا الفذ.. يا لغيرتي من هذا الأديب الذكي العجيب..!.

أنا رجل رديء، لا أصلح لشيء.

أبكي.. وهاجس الكتابة يصلبني.

6_8

لستُ أعتقد، في أي حال من الأحوال، أنني أؤرخ كتاباتي في هذه الصفحات.. ولا أدري أي شيء يدفعني إلى الكتابة، سيما وأنني أحس بعجز كبير أمام هذا الكائن الخرافي (الكتابة).. إنني بارد، مشلول.. والكتابة قتل وانتحار، شوكة في الحَلق، غصة.. هنا..

كلما قرأت رواية لكاتب دفعني إلى الكتابة وكشف عن عجزي التام أمامه: لعبة، سحر، خدعة.. أو شيء من هذا القبيل.

اليوم كتبتُ عدة صفحات في روايتي[1] (التي أردتُ أن تكون عظيمة)، وما كان إحساسي وأنا أمسك بالقلم مثل إحساسي قبل

---

1 . المقصود هنا روايته (دابادا).

Twitter: @ketab_n

أن أكتب: كنتُ أتعذب، أقفز من سريري في قلب الليل لأسجل عبارة وردتني، أو فكرة.. والآن، حينما بدأت.. بدأت ببرود لا يوازي حرارة الانتظار.

كانت موضوعية هائلة وسيطرة تامة، حتى أن الداخلين والخارجين إلى غرفتي، من أطفالنا وأبناء الجيران، كانوا يتحدثون معي وأنا أكتب. ولقد استغربتُ تماماً هذا الحال إذ قارنته بمذكرات الكُتاب الذين يغلقون على أنفسهم الأبواب ويبدؤون (بالولادة).. استغربتُ من هو الأصح؟!. ماذا يعني هذا؟.. لست أنفعل أو أثور أو أتأثر بما أكتب..كنت أتخيل فقط.. وأنظر إلى كلماتي بأنها سخافات كبيرة.. كنت أبحث عن العمق فيها فلا أجده. وقد تذكرتُ الآن ما قالته لي تلك المرأة:

ـ أحبك.

فقلت لها: لا وقت عندي لغير الكتابة.. وكتابتي، كما تعلمين، ليست مطلباً ذاتياً خاصاً.. فالذي يدفعني بالأساس إلى الكتابة هي الغيرة.. نعم الغيرة.

ـ أتغار عليّ حقاً؟.

ـ أغار على وطني الذي كلما قارنت أدبه بآداب الشعوب اكتأبتُ.. ودفعني ذلك للقراءة والكتابة.. وستبقى تلك الغيرة تنهشني حتى أحقق ما يحققه كاتب عظيم لوطنه.. أو أهلك دون هذا الأمر.

وكان كلاميْ يثير سخرية المرأة في داخلها، ويدفعها إلى التوافق معي في ظاهرها.

Twitter: @ketab_n

أحسُ أنني سأستمر ببرودي هذا.. ورغمه أكتب.. ورغمه يجيء أدبي ناجحاً.

6.12

كنتُ أستيقظ فأجد حولي اللاشيء، اللاجدوى، الرتابة.

«أستيقظ فأجد حولي العَدَم..» كما يقول جوزيف كونراد.

كلما ذهبتُ إلى مكان، توقعت أن أجد فيه راحتي، وما راحتي إلا بتحقيق ذاتي. هنا في القرية، الآن في غرفتي التي تغطي أرضيتها المسامير والأخشاب والأوراق.. والغبار هنا يلف كل شيء. وصوت أمي يأتي من النافذة.. أمي التي لا تعرف أن تتكلم إلا بالأمر والصراخ.. مازلت أشعر أن بيني وبين قرار الرجل مسافة.

إنني أتواجد هنا لأجل هذا الاضطهاد ولأجل كتبي.. إنني أقرأ ويعيبون قراءتي، يُعَيّرونني بكثرة القراءة: «أنت مُعقَّد، أنت مرمي ومهمَل في هذه الغرفة مثل أي شيء لا أهمية له».

ليس لي رأي في هذه العائلة، لا علاقة لي بما يجري. كانوا يقولون: فلان تزوج، وفلان مات، وفلان اشترى سيارة وفلانة غمزت لفلان.. وكنتُ أشعر بأنهم يتحدثون عن عالم آخر، عن مكان لا أعرفه. وقد عجبتُ كيف أعيش هذا الانفصال، وكيف أكتب أدباً؟!. مع كل ذلك فلستُ بمُبتئس، لو يتركونني هنا في غرفتي المتربة، بين كتبي وأحلامي وعالمي الصغير.. أحس أنني لن أضجَر،

Twitter: @ketab_n

سأجد عزائي في الكتابة والقراءة والرسم.. هذا إذا كنتُ أستطيع أن أرسم هنا في القرية.

6.13

بإمكاني أن أستهلك ذاتي، أو أتمرد. أثور أو أبقى بارداً مثل حديدة. الخواء يلف جسدي وغرفتي، والضعة تلف وجوه الآخرين. يتنفس في داخلي خط من التمرد والموت.

هذا الحيوان الصغير المتشبث بقلبي.. ومن هناك، من أقصى القرية أسمع أصوات رجال يصرخون: انهض معنا.

كنت أتشبث بمكان واحد وأتطلع إلى تدمير العالم السيئ. أردتُ أن أبقى مطموساً في هذه البركة، بين ضلوع الجدران الرهيبة.. كنت مثل قلب عاشق؛ أدق بعنفَ ورهبة.

الأشياء -أحياناً- تأخذ بعداً جمالياً رهيباً، وأعتقد أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يبقيني في السكون. الآن أحن إلى القهوة، السجائر والرسم وأنغام شوبان، وكل ذلك لا يحق لي في هذه القرية اللعينة. أحن إلى أصدقائي ومجالسهم، أحن إلى النساء اللواتي دمرنني.. ولا يحق لي ذلك. أحن إلى قريتي ولا يحق لي أن أحن في هذه القرية. لقد اشتقتُ إلى الطُرقات والأزقة، اشتقتُ أن أكون رجلاً ذو قرارات مجنونة، اشتقت إلى العبث، الحب، الضياع، التوهج.. كل شيء. لقد دمرتني الرتابة المقدسة، البرود.. أصبحتُ لا أعرف طعم الشهوة في شيء ألمسه وأعيش معه.

كنت أحتاج إلى الله في كل وقت بينما أحسه يبتعد عني.

Twitter: @ketab_n

6 ـ 14

لماذا هذا التصالح التام مع نفسي؟!.. وكيف أتحول فجأة إلى إنسان بارد تنقصه العاطفة؟!.

أجل ينقصني الانفعال، الدهشة، الصراع مع نفسي. هذا التحول المفاجئ إلى الهدوء، إلى الحس الصوفي، الإيغال في الذات، الرزانة.. أمور أقر بأنها لا تصلح للأدب، بل للتفكير الفلسفي المجَرَّد. الأدب يريدني أن أعود مشحوناً، مملوءاً بالعنف والعنفوان.. أن أنفعل حد الاحمرار ثم أكتب.

أية كتابة عقلية مملة سأكتب.. أين قلبي؟!.. أين حواس الرسام المرهفة؟!.. أين ذلك الحب الذي كان يطفو على امرأة واحدة فيرتمي على الآخرين؟!.

الآن روايتي ستكون محاكمة فكرية لهذا الواقع الرديء، ستكون احتجاجاً تنظيرياً فحسب. أسأل نفسي، إذا كانت الصورة الشعرية تتولد من موضوعية تامة، أو من رمز رياضي، أو من خط، أو من شبح؟.

إذا كانت الكتابة تتم بهذه الطريقة الوديعة فالأمر ذو احتمالين: إما أنني بلغتُ حالة تامة من العجز، وإما أنني بلغتُ حالة متقدمة من السيطرة والقوة. حقاً أنا لا أعرف أن أحدد حالتي هذه، وقد يمر زمان طويل دون أن أستطيع ذلك. إنما سيحدد الآخرون..

* * *

Twitter: @ketab_n

نعم هذا هو الشكل الذي كنت أبحث عنه لروايتي، هذا هو المضمون.. الآن، وجدته.. يا لفرحتي!.. يا لتعاستي..!.

كنت أمشي اليوم في المزارع، قرب النهر، أحمل ورقة وقلماً.. وأتوقف لأكتب.. فجأة: هذا رجل مثقف، غريب، بارد وموضوعي أمام هذا الهرج، أمام هذا الصراع، الشهوة، الشراهة، الانفعال، التخلف.. أمام الصراع لأجل السلطة والزعامة، تقديس الرموز القديمة..

موضوعية تامة مُجَرَّدة، أمام ذاتية رومانسية حادة..

رجل موضوعي منعزل، أو معزول ـ على الأصح.. يريد أن يقول كلمته، أن يضع يده ولمساته، أن يحقق حلمه في التأثير على الواقع.. هل يستطيع؟.. المعاناة، الغربة، الصراع -مقابل- الجهل، التخلف، العشائرية، الدكتاتورية والاضطهاد السياسي.. الموروث الاجتماعي والنفسي.. أمام ركام هائل..

رواية صعبة.. ستدمرني بلا شك، ولكن لا يهم، غير أنني أحتاج إلى الوقت الكافي، إلى الفراغ، إلى العزلة التامة..

.. إنه لشيء فضيع..!!.

6 ـ 17

رأسي.. رأسي يوشك على الانفجار..

Twitter: @ketab_n

6 ـ 19

إنني هنا أنتظر شيئاً.. ولقد جئت من أجل هذا الشيء.. لقد برمتُ بهذه الحياة الرتيبة: كل شيء تافه، خال من المعنى، الفراغ في كل مكان، اللاجدوى..

إنني مُلصَق في مكاني تقتلني الوحدة والغربة، تحفر لبي الهواجس. عندي رغبة في التجوال، غير أن جيبي خالٍ تماماً..

عندي رغبة في أن أحب امرأة.. ولكن أين..؟!.. لقد مات قلبي..

لدي رغبة في القفز والغناء كطفل، لدي رغبة في الرسم.

الفراغ حولي.. وأنا أموت رغماً عني.. ببطء وبرود.

يا إلهي.. ليست لي رغبة حتى في الحديث أو الكتابة.

6 ـ 20

أنا كائن صغير، يا لي من ولَد طيب!.. لي قلب أخضر أمام هذه العاصفة،.. أمام الذئاب ذات الأفواه الفاغرة.. لي هذا الكفاح السري، هذا الجنون والالتصاق بالكُتب، لي الوحدة والألم.. ولي الأمل أيضاً.

لا أصدقاء، لا نساء، لا مسرات.. لا مسافات طويلة أمشيها.. هنا الكتب وهذه الأوراق البيضاء.. إنني أعذب نفسي بصعوبة.. سأرضى بالكفاف، بالعزلة، بالألقاب الهازئة التي يطلقها الآخرون ضدي.. سأرضى بهذا الموت، الكتابة موت والقراءة قتل..

Twitter: @ketab_n

اليوم رأيت (م)[1] كانت مشتاقة إليّ،.. يا إلهي.. هذه المرأة تحبني.. ولا أستطيع أن أرد لها هذا الجميل.. هذا كثير عليّ.. أنا رجل غير صالح للحب.. إنني أصلح للكتابة ولعذابها، وهو الطريق الذي اخترته لنفسي.. لن أتراجع.

6 ـ 26

إنني بين حَجريّ رحى، أُطحَن، ثم أتجمَّع من جديد.. كأنني شربتُ البحر، أو ابتلعتُ جبل.. الكلمات لا تصف دائماً.

أمامي شهر واحد ثم تأتي الخدمة العسكرية.. وإن أملي بالتأجيل ضئيل جداً.

ورائي يقف ماضيَّ، هذا الكفاح لأجل أن أكون. إنني أخشى أن ينتهي كل شيء. ورائي أيضاً هذا الوضع الوضيع الذي أتحمله في هذا البيت، بحيث أدفع رجولتي وقراري وشرعية وجودي ثمناً لطموحي.. ورائي مخاوف نفسية كثيرة.. وإرهاب اجتماعي ضد الفن ولصالح العملات الورقية، لصالح الكذب والمساومة.

ثم أنني واقع بين ثقلين آخرين: الكتابة، وما أعده الآن لكتابة روايتي، والتي قطعتُ بها شوطاً لا بأس به، وبين انتهاء الخطوط العامة لهذا العمل بعد شهر.. إنني مضطر للكتابة، إنني محاصَر في زاوية وظلمة.. ومع ذلك أكتب.

---

1 . ميسلون؛ امرأة أحبها حسن مطلك بقوة.

Twitter: @ketab_n

يقتلني التخبط، والقلق، والتمزق: هل هناك شرعية لهذه الرواية -إنني أبدو غير مقتنع بكلمة كتبتها، ولكنني أواصل- هل أن ما أسطره، يمكن أن يكون بداية جيدة لرواية؟. ما مقدار القبول؟. ما مقدار النجاح؟.. هل أن الطريق الذي أسلكه في الكتابة صحيح؟. ساعة أقنع بكل هذا فأواصل الكتابة.. وساعة أشمئز فأحاول تمزيق ما أكتب.

كنت أطمح بعمل جبار غير اعتيادي، وها أني أسقط في التقليدية من أول محاولة، اللغة تخونني، التصور الحقيقي، التجربة الروائية، النظرة النقدية العالية.. آه.. لست مطمئن.

إنني أصارع مستقبلي، أصارع وجودي.. ولكن الوقت ضيق جداً والظرف أضيق. وألم الكتابة يأكلني كل يوم ثم يبصقني.. وكلمات الاستهزاء تحاصرني.. من أين أ أتي بالقوة الخارقة وقد اجتمعت أشياء كثيرة ضدي..!.

سأكتب عملاً مقبولاً على الأقل لكي أخرج من وضع اللامسمى.. إلى وضع (الكاتب).. إنني أتمثل في المجهول القادم وحش خرافي يفك شدقيه لالتهامي، ولكن ثقتي بسلاحي وخبرتي في العراك واطمئناني إلى نفسي تجعلني أواصل الدرب ولو كان ينتهي إلى فك الوحش حتى.

ما كتبته لحد الآن عدد من الأوراق، بدايات لفصول، وأعمدة وفقرات، ولغة مضطربة.. وخوف. الرومانسية تستعمرني أحياناً.. والركوع أمام البديل الجمالي في الوصف والمعالجة يسرقني مرات

Twitter: @ketab_n

كثيرة. الرمز يتحداني بعيون زائغة دون أن أفهم معنى التعابير في عينيه وصفحة وجهه. العقدة السياسية، الإحساس السياسي، الذي أكرهه دون أن أتمكن من دفعه عني.. ثم الخوف من نتائج الغلبة لهذا الإحساس. والبناء الروائي.. وهل سيفهم القارئ ما أريد قوله دون أن أضطر إلى التفصيل الممل؟. وهل يظهر لي خط متميز بالكتابة، يمكن أن يحدد معالم شخصيتي الأدبية؟.. ومدى جدوى هذا الموضوع..!.

إنني حين أكتب أصمّ أذنيّ عن كل هذه التساؤلات وأتجاهل صرخات المجهول المنبثقة من ظلام أوهامي: أمامي الورقة، وبيدي القلم، وفي رأسي فكرة، وعلى لساني كلام.. وبعد ذلك ليحدث ما يحدث.

6 ـ 28

ليست لي رغبة في الكتابة هذا اليوم.. ليست لي رغبة في شيء أبداً، والسبب يرجع إلى أن قواي النفسية لا تُجدد. إن قوتي تنفد ولا تُشحَن من جديد: اضطهاد يومي، عزلة، لا امرأة، لا موسيقى جميلة، لا صديق، لا سيجارة، لا سينما، لا شارع، لا سوق مزدحم. أمامي جدران طينية ووراءي جدران طينية. ونفس الأصوات يومياً، نفس الوجوه.. وأسأل نفسي دائماً: ما معنى أن أكتب؟.

إن الخوف من إكمال العمل ثم الفشل به يقتلني.. سأدفع الثمن غالياً.

Twitter: @ketab_n

أنصاف الرجال

يسرقون النساء الجميلات

بحجة أنهم واضحون وليس لديهم

عالم خاص..

وجيوبهم مملوءة

بالورق المقدس

.. والرجال الخاصين

إنما تهرول الريح في جيوبهم

وتعصف النار في رؤوسهم..

كيف يحدث هذا؟

كيف؟

.. آه يا ابنة الكلب

لم يعد لي الحق أن أحلم بكِ

حبيبتي أيتها الساقطة الجميلة

أيتها العاهرة العزيزة..

ربما تنامين الآن في حضن رجل بارد يا (م).

إن خداكِ يحمران، والشحم الأنثوي يترسب في ردفيكِ.. لقد تخلصتِ مني وانتهى الأمر.. أنتِ نشطة الآن في خدمة (الوطن)

Twitter: @ketab_n

و(المؤسسات)!.. وقد قلتِ آخر مرة: «إن لكَ عالماً خاصاً».. وبهذا قتلتِ الحكمة داخلي.. إنني أشيب في مقعدي.. إنني أشيب في مقعدي، وأنتِ تزهين كالغصن الجديد.. يا ابنة الكلب!.

8 ـ تموز

أفكر في الوضع الجديد. بالعسكرية التي تجيء بعد عشرون يوماً. أفكر في الرواية التي توقفتُ عن كتابتها.

أفكر بنادية واحتمال أن أتصالح معها، وقد وعَدَت أن تكتب لي في عطلة الصيف، فلو كان الوضع شتاءً والحال معروف فالكتابة إليها أو لقائها يكون يسيراً.

دائماً يكون تموز شهر صعب مُسَنَّن..

إن الألم المقدس يخمد في رأسي ليتهيأ لثورة جديدة.

كنت أهرب بعض الشيء إلى نينوى وأسكن مع أصدقاء مشردين مثلي: (رزّاق)، (ناصر)[1]..

في الغرفة (60)[2] أقمنا كموطنين مهذبين، نعاني من إفلاس تام، لذلك تعودنا أن ندخل إلى المطاعم والمشارب دون أن ندفع الحساب، وكنا نتقن ذلك بدقة فائقة..

---

1 . المقصود هو ناصر محمود؛ صديق حميم لحسن مطلك منذ سنوات الدراسة في جامعة الموصل، واشترك معه لاحقاً في محاولة قلب نظام الحكم سنة 1990 حيث أُعدِم شنقاً ـ مع ومثل حسن مطلك ـ في السنة نفسها.

2 . في الأقسام الداخلية لطلبة كلية الطب/ جامعة الموصل.

Twitter: @ketab_n

وكنت قد وصفتُ ذلك الوضع في يوم 3 ـ 7 :

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.

ثمة ليل موصِليّ مُثَقَّب بالمصابيح. المخازن المحدودبة لـ«مؤسسة دار الكتب» تسبح واجهاتها في نور فاضح.

خرير ماء لأنبوب مكسور في الحديقة الواسعة الجرداء.

ونسمات آخر الليل تصفع وجهي بنزق.

إنني في وعي تام، مستعد للصحو حتى رؤية الشمس من شرفة الغرفة (60) أنظرُ إلى أسفل: إلى القطة الصغيرة السوداء العوراء التي حصرها (رزاق) بين نعلين مطاطيين. وقد كانت تموء قبل قليل في جوانب الغرفة، وتختبئ راكضة تحت السرير لكي لا يمسك بها أحد.

لقد تركَت بقعة مائية في الأرض، ولم نكن نتبين نوع المادة التي نزَّت منها. إنها تنام في الأدغال اليابسة على طرف الحديقة المُبَلَّط بالكونكريت.. تماماً أمام باب القسم وفي إغماء تام. كانت ترفس ونظراتنا مثبَّتة في فروها المتسخ.

(ناصر) تألم، وأنا تألمت، و(خالد) المصري تألم، و(رزاق) الذي رماها تألم أكثر من أي واحد. رزاق ندم ودعا الله أن لا يؤاخذه.. وهو ينظر برجاء إلى شفائها في تلك الحركات المتشبثة ويقول: «للقطط سبعة أرواح». وهو يرجو أن تكون، فعلاً، بسبعة أرواح، لكي لا تموت.

رزاق يدخل في الغرفة، يدور، يذهب إلى الممر، ينطرح على السرير مكباً ويجهش في موجة من البكاء المُر. لم أره يبكي من قبل بهذه

Twitter: @ketab_n

الطريقة العجيبة، ولم أصدق أن هذا الفتى المرح والسعيد يمكن أن يبكي لأي أمر..

ـ لماذا بكيت يا رزاق؟.

سألته بعد أن هدأ وأشعل لي سيجارة.

ـ لا شيء غير أنني مقهور.. مقهور.

هذه الكلمة فقط، ويبدو أننا نسرق لحظات السعادة من بين ركام هائل من الأحداث.

ـ أتحدُث لك هذه الحالة باستمرار؟.

ـ باستمرار.. دون أن أخجل، أبكي في المقاهي والشوارع والأماكن العامة.

ـ أنت محظوظ، فهذه الحالة كفيلة بإخراج صراعاتك الداخلية.

عجينة هذه الأشياء، هذه السعة للعالم تبدو سعة وهمية وغير حقيقية إطلاقاً.

سَاعات غريبة ألقتنا بإهمال فوق شرفة موصلية مسائية. لأي أمر نجتمع؟. أصدقاء يحتاج أحدنا للآخر، يبكي على صدره ويتسلل بين الغطاء والسرير.

وتبقى القطة طاوية على آلامها بانتظار الصحو.

ويعلو صوت رزاق متحدثاً عن امرأته:

ـ هذه المرأة عجيبة تماماً.. والله عجيبة يا حسن.. ولكن تبقى المرأة في نظري مجرد وهم.

Twitter: @ketab_n

كان يحس بأن أشياء خاطئة كثيرة تنبت في جوانب العالم.

أمد بصري إلى بناية قديمة عالية تبدو مثل قلعة ببوابة قديمة كبيرة، يقسمها ضوء مصابيح النيون إلى نصفين.. وتتوهج أمامها كتلة من الحشائش الخضراء الطرية، وثمة أشجار واقفة، تتمايل أمام نزق النسمات برقصة تدل على رتابة الحياة وقِدَمها.

الغرفة خلفي: هنا كرسي بسيط من أثاث الأقسام الداخلية، عليه سكين متسخ مثقوب المقبض، على الأرض أعقاب سجائر، الخزانات مشرعة أبوابها الخشبية، المروحة تدور، كتابات على الجدران تعبر عن مذكرات يومية، وحِكَم مسروقة من كُتب.. مُكيَّفَة لوضع.

إحساس بالوحدة، لا حزن هناك، برود تام.. و(ناصر) نام بعد سُكْر ثقيل.

يتناول (رزاق) قلمه داخل الغرفة، يجلس تحت الضوء، ويكتب عبارتين.. ثم يطفئ الضوء وينام، ويبقى صوت المذياع يأتي بأغانٍ من القاهرة.

أتناول (ذئب البوادي)[1] وأقرأ على ضوء مصابيح الشارع الساقط بتردد على الصفحات وقد أشارت الساعة إلى الرابعة صباحاً.

---

1 . رواية هيرمان هيسه.

Twitter: @ketab_n

7 - 11

اليوم هو عيد الفطر المبارك.. وقد بدوت حزيناً جداً كعادتي.
صدري ضيّق ويصعب عليّ التنفس.

نظرتُ حولي فألفيتني وحيداً غريباً عن العالم، وقد ماتت في داخلي حسرة إلى امرأة.. امرأة مثل (م) ألقي رأسي على صدرها وأبكي.. بدلاً من أن أبكي وحدي على مقود السيارة هذا اليوم، لقد بكيت، وأنا منذ زمن طويل لم أفعل هذا.. منذ دهر وأنا لم أذق طعم دموعي المالح... كنت أعتبُ في السر امرأتي تلك، أعاتب أحجار الطريق التي تعكس صورة وجهها ولفتاتها العاهرة. أيها الإله الجميل الذي في أعماق السماء.. الغوث.. الغوث.

أيتها المرأة الحلم، الذكرى المؤلمة المعطَّرة. أيتها السم اللذيذ.. إن عبقريتي تضغط على رأسي كآلة لعينة.. هذا الرأس المثبت بمسامير في الفراغ المتخشب. أدق كفي على صدري وأستنجد بذاكرتي لكي تعيرني صورة واحدة سريعة من تلك الصور التي حفظتها لوجهك بابتسامتهُ الساخرة اللذيذة.. أيتها العدو الأول.. إنني مقتول تماماً وعاجز عن فعل شيء.

إن تنين الكتابة يحاصرني ويريد ابتلاعي وتدميري، والوقت ضيق أمامي حتى نهاية الشهر، لا أدري، ربما سأصاب بانفصام أو جنون أو باسقربوط المثقفين.. ربما أتلاشى.. أنا عاجز عن البوح والتحديق.. آه.. إن كلمات الكفر لن تجدي لتهدئتي، وليس أمامي غير أن أسلم جفنيّ لله لعل ذلك يخفف من ألمي.. يا إلهي الجميل.. أي ألم هذا؟!..

Twitter: @ketab_n

أي ثقل في هذا الرأس اللعين؟!.. إن أمعائي تتمزق وقلبي ينسلخ.

لقد بدا لي حيز الحياة الذي أبصره وألمسه مجرد لعبة لها نهاية.. حتى أنني تناسيت شكل تلك الوجوه المغتمة الخالية من التعبير.. يا حيوانات الأرض، يا كائنات السماء.. يا نساء.. أيتها اللعنة الضرورية..

إن الثأر يحفر داخلي (الثأر)!..

أثأر من واقع مزقني وأهملني مثل خرقة بالية. أثأر من امرأة دمرتني وقالت: «إن لك عالماً خاصاً بك».. هكذا ألقت على غلاف مصيري لتتركني في (عالمي الخاص) وتهرب. أثأر لهذه النفس الهزيلة منها.. أثأر..

امنحوني سنة أخرى فقط لأريكم، امنحوني شتاءً ومدفأة وقلماً ووحدَة أعطيكم ما عندي. سأكتب دون خوف. سأنتحر إن لم أنجح في الثأر.. فخصمك إن لم تقتله قتلك. اللعنة. اللعنة. اللعنة على هذا الواقع المزيف.. على هذا القدر الرديء.. اعطني فرصتي أيها الله لأقول ما لدي وأموت..

إنني أفقد عقلي تماماً.. عقلي وقلبي
مثقوب بمسامير المسيح
وامرأتي تأكل الشكولاته
في مخدع بارد معطَّر
.. و «السواقي معبَّأة
ودمي فائر».

Twitter: @ketab_n

أعرف بأنني أحفر نفقاً في جبل سميك، أحفر بأظافري، وأعرف أني أشق قناة، ولوحدي.. وأعرف بأنني امتطيتُ الصعب، بل المستحيل. هذه الرواية أصعب مما كنت أعتقد. لقد مددت أطرافها.. ورأسي أصبح فارغاً مثل علبة، والبطل (شاهين) يسبح في جو كثيف دبق من الذاتية والجمالية التي كبلت حركته.

إنني أحتاج إلى الزمن فقط. ولكن هذه معجزة. فالتأجيل من خدمة العسكر أمرٌ لا رجاء فيه، ولا أدري إذا كان الخاكي سيقتل تلك الأحاسيس النبيلة الرقيقة؟!.. إنني خائف على نفسي الفنية، خائف على روايتي. على الأقل أحتاج إلى شتاء آخر لإكمالها..

لقد أتيح لي أن أنظر إلى ورائي، إلى عشر سنوات خلت، فوجدتني أسبح في نكتة سخيفة، وفي إحساس كثيف من العدم الخالد.

إن الذي يحفظ تنفسي طبيعياً كتنفس الأرانب وآكلات البقول، هو انتظار الآتي (الذي لا يأتي أبداً) ولذلك شرعتُ بالركض نحو خط النهايةِ غير مبالٍ بعجز مفاصلي أو بوخز الحصى في الساحة السوداء.

لقد تركتنا هذه السنوات متوجة بالعطلة الأخيرة، تركتني أجوفاً كعلبة ثقاب، أو بتعبير أدق: مثل علبة ثقاب، إنني مسلوب تماماً كما لو بُتِرَت أطرافي. كتبتُ وقرأت. وفعل (كتَبَ) من أشد الأفعال فتكاً وبطشاً بي وبشخصي الرقيق.

لقد أردتها روايةً صغيرة وكثيفة فما أطاعتني وانتفخت مصابة بالفقاقيع، على حد قولي، كتبتُ (80) صفحة وبقي أمامي الكثير..

Twitter: @ketab_n

ولكن حتى وآب ذو الجيفة يقترب.. ورجولتي سقطت في غبار بنفسجي..

أمامي مجموعة الأوراق تشرح حال بطلي المثقف العاجز الذي يعيش عدمية تامة وتشرداً منحطاً، يحلم بتجربة سياسية بكل تفاصيلها وكأنه عاشها، ولا يقترب منها. هذا البطل يغرق في كثافة شديدة من الاستاطيقية لأنه كره الواقع والتجأ إلى حُلمية جمالية..

إن الحس الجمالي لديّ -كرسام كاتب- سيطر على كل المداخل، فهذه الجمالية الكثيفة أحالت الأبطال إلى أفراد عاجزين ليس لديهم غير التحديق البارد والمنفعل حول وتد مستقر. وهذا الاستقرار والعجز خلف غربة مالحة تغلفها السوداوية وورق الهدايا. بعكس ما أردتُ أن يكون أدبي سعيداً متملصاً من حدوده، وبعكس ما تمنيت أن أحمل هديتي مجردة بين أصابعي. «إن العمل الذاتي بقدر ما يكون حاداً يكون غامضاً» على رأي أليوت.. وبدءً من البقرة التي تشرب (الكوكا كولا) حتى السقوط في هوّة الفراغ الروحي والاجتماعي.. ورعب العزلة، وحتى المختار الذي يذبح الغجرية بخبزة جافة، تسير روايتي في خط متعرج قلق وأرتاب أحياناً من أن ما كتبته يصلح للقراءة..

طوال هذه الشهور، ورأسي يأخذ هيئة صندوق كبير ثقيل، الكتابة ذعر.. بكل ما تحمل هذه الكلمة من أبعاد. أنا مذعور.. سيما إذ كان ما أكتبه ذاتياً فلا أملك أداة لقياس ذاتي. ولا أدري إذا كان الذي يدمرني يعير انتباه الآخرين.

حين أنظر إلى سنواتي الـ اثنين وعشرين، أجدني لا زلت صغيراً على تحمل هذا العبء وتلك المسؤولية، وأبرر لنفسي أحياناً ملتجئاً

Twitter: @ketab_n

إلى عمري في حالة الشعور بالفشل.. ولكن الوعي عندي أو الشعور بهذا الوعي يجعلني لا أغفر لنفسي.

وضعي تعيس في هذه العائلة: أطفال، صراخ، قيم قديمة، ركض وراء الدرهم.. وشخصي مسلوب، أُعامل كطفل، أو كمُعقَّد. أحلم أحلام يقظة ببيت وامرأة صالحة، ومنضدة كتابة.. وأحلم أن أصدر قراراتي كرجل يعرف وضعه ومصيره. وأصبر معللاً نفسي بالأمل، حتى يخيل لي أحياناً أنني عشت خمسين عاماً. وأن الكتابة بعد هذا أمراً مستحيلاً. هذا البيت قتلني كرسام، أو شلَّ حركتي، ويريد أن يجهز عليّ ككاتب.. ومع ذلك فأنا أنسى كل هذا حين أغيب شهراً، وأقول: أهلي.

لو يتوفر لي السند المالي لخرجتُ إلى الحرية، ولو أنه لا حرية في العراق. إن المرء هنا إما أن يكون مجرماً أو ميتاً، ومكان الفضيلة والعمل الذي يختاره المرء غير موجود. إنه لمن الصعب أن يختار المرء في أسرته.. فكيف في وطنه؟!.

.. يا إلهي الجميل: كيف أحتمل كل هذا؟!. سيأتي يوم لن أحتمل فيه أكثر فأحمل حقيبتي ولا أعود. إن أملي الآن بامرأة أحبها أصبح منطفئاً تماماً.. الحب مستحيل كالحرية. أين أضع المرأة التي أحبها.. أفي هذا البيت؟.. وماذا تأكل؟ وماذا أُنفق عليها لو أخذتها إلى مكان آخر؟.. وماذا أقول: أأقول بأنني كاتب ويجب أن أبقى بين أوراقي؟.. ومن قال أني كاتب؟.. أين أعمالي؟.. أين كتاباتي؟.. إن هذا الحلم رهن إنتاج ناجح أقوم به، وإنه من الصعب أن أقنع بأن روايتي الأولى ستكون ناجحة.

Twitter: @ketab_n

سأتشرد، وهل يتيح لي الوضع المأساوي أن أتشرد؟.. هل يتيح لي أن أعمل وبحرية حتى في كنس الشوارع ثم اللجوء إلى الكتابة؟.

هذه الحرب أكلت نفسي وأكلت محيطي، ورجال السُلطَة حمير و(.. ..)[1] حمار ينهق ليل نهار ويلبس فروة الأسد.

أنا مذعور وخائف وكلب.. أنا كلب من عائلة كلاب. أعرف أنني سأفعل شيئاً في المستقبل، وأعرف أنني سأكون كاتباً معروفاً. ولكن أريد هذا الآن. فماذا ينفعني في المستقبل؟.. أريد أن أخرج إلى الرجولة والعمل القاتل، عمل الكتابة.. أخرج إلى المسؤولية. أريد الحرية لنفسي والاستقلال في السلوك والقرار. أريد مورداً مالياً وبيتاً يعصمني من الغرق، وأريد احتراماً من قبل الآخرين، ثم أريد أن يحق لي اختيار امرأتي..

.. أنا مذعور، ومرعوب، وفزِع..

والحمد لله

7 ـ 29

يومان آخران وأعرف نتيجة انتظاري: هل أُؤجَّل أم أذهب إلى العسكرية؟. أعتقد أنني سأؤجَّل.. أو أنني أحب أن أعتقد، لأجل أن لا تذهب روايتي سدى. إنني أعيش وضعاً مضطرباً جداً.. لا قراءة ولا كتابة ولا تفكير..

---

1 . عبارة مشطوبة نعتقد أنها تقصد الدكتاتور مباشرة وبالاسم.

Twitter: @ketab_n

في هذه الأيام فقط فكرت بوضع الأدب القادم. قلت أن نتاجاتي الأدبية القادمة لن تكون درامية، فالمأساة في العالم، أو هنا في العراق على الأخص، لم تعد تثير أحداً: كل يوم (شهيد)، كل يوم (جريح).. وقصص مفزعة عن التخبط والسقوط الاجتماعي بسبب هذه الحرب اللعينة. إنني أنظر إلى الأدب القادم على أنه أدب مخالف للوضع: (أدب ساخر من الإنسان ومشروعه، ساخر من الموت والقيم والعادات والثقافة والسلوك، وساخر حتى من الميتافيزيقيا).. إن مثل هذا الأدب يؤسس قيماً جديدة في المجتمع، وهو نتاج قيم جديدة في الوقت نفسه. ثم أن هذه النتاجات ستنطبع بطابع ملحمي: عودة إلى أدب الملاحم ولكن بطريقة جديدة: ملحمة ساخرة..

لا واقعية دقيقة ولا رومانتيكية ولا رمزية.. بل إنها مزيج هذه الأشياء.. ربما واقعية سحرية ملحمية، ونضيف كلمة: ساخرة.

ثم أن دور الكلمة يصبح دوراً آخر، فالعبارة تؤسس حدث داخل العمل الأدبي، تتحول من مجرد وصف خارجي بارد وموضوعي إلى دخول في الحدث وتفجيره: أي لا يمكن فصل العبارة عن الحدث.

وستكون العبارة شعرية دالة، رقيقة، مرنة ذات صلابة عالية.. ولكن لا يقتصر المقطع أو الفصل على كلمات جميلة، فالحدث يدخل الرأس أولاً ثم يخرج من الحواس جميلاً بلغة جميلة.

الكثافة: هذه صفة أخرى للعمل الأدبي: كبس الأحداث، والاختصار من الوصف، والاستغناء عن المشاهد غير المهمة، ومزج الحالة النفسية والوجدانية للبطل بسلوكه الظاهري. ومزج تفكيره بفعله.

.. هذا بعض ما أراه -باختصار- بالنسبة لأدبي على الأقل.

Twitter: @ketab_n

5 ـ آب ـ

يتعين عليّ أحياناً وبشكل لا أدريه أن أفقد ذلك الصبر الفلسفي، أفقد الثقة بنفسي وأنتمي لقوم يأكلون ويثرثرون فقط. إنني أناضل لنزع نفسي منهم وهم يناضلون لكسبي وتدجيني.. هكذا أعيش في صراع لا طائل له. لقد صرتُ مستوفزاً.. أحارب الأكل والشراهة، أكفر وألعن لكي يكون لي مذهب خاص، ولكي يكون الاقتراب مني صعباً ومؤذياً.

الكلام في هذه العائلة المكونة من كم هائل من الأطفال.. هنا صراخ. أمي تصرخ، أخوتي يصرخون. وأنا أكتب الآن أسمع صوتها تهدد وتتوعد:

ـ«لماذا لم يذهب أحكم إلى العزاء.. ماذا يقول عني الآخرون؟».

قلت:

ـ لن أذهب.. وليس لي علاقة بالأمر، علاقتي بالأحياء ضعيفة.. فما قولكِ بالأموات؟.

وأخي محسن يحمل وجهة النظر نفسها.. وأمي تحمل عباءتها متوعدة بعدم العودة إلى البيت، ولكنها ستعود حتماً.

أشياء تافهة، التزامات لا تجر علينا بأي نوع من الفائدة أو التقدير الاجتماعي. المجتمع يحاربني كمهتم بالثقافة، المجتمع يرجمني وأنا منفرد عن القطيع، أرفض أن أكون نعجة. إنني أعد نفسي بالنصر.. والنصر أصبح بعيداً، والكتابة أصعب من أداء فروض الطاعة الاجتماعية.

.. كل شيء صعب أمامي حتى أنجح.

Twitter: @ketab_n

15 ـ آب

لولا إحساسي بأن لي أصدقاء، وأنهم يحبونني حقاً لقلتُ لنفسي بأنني كريه لا يصلح للحب.

الآن لا امرأة في حياتي، خرجن جميعهن فأنا لا أُطاق. لا أدري ماذا تريد النساء من الرجال؟!. وأنا على يقين تام أن من تفهمني تعبدني مثلما حدث لـ (آ).. ولكن عليّ أن أعبدها أنا أيضاً.

23 ـ آب

أدفع نفسي دفعاً، إنني حين أتوقف عن الكتابة فترة معينة فإني أتمرد في سلوكي مع الآخرين.

هل صرتُ حيواناً في حظيرة حيوانات أخرى؟..

أنا حيوان.. وبرغم هذا، أنا غريب.. ينظر إليّ القطيع بريبة ويضحك مني.. فأهز ذيلي بارتباك، وأغفر لنفسي بسؤال: ماذا يتعين عليّ أن أفعل؟.

ربما أضحك مع القطيع، وربما أخاف من أن أفقد تلك الغربة.

هذه طقوس الفقر والحاجة.. آه إن فلسفتي نبعت من هذه الكلمة: الحاجة إلى أن أكون إنساناً.

هؤلاء قطيع من الحمر الوحشية: مُخَطَّطون جذلون، ربما تلذع لساني مرة ذكرى مالحة، ربما أستغيث.. وتبقى تلك الحمير مُخَطَّطَة أبداً.

Twitter: @ketab_n

«ـ لماذا أُجِّلت؟. قالت أختي.

ـ لا أدري؟. قال أخي».

ولا أدري أنا عمّ يتكلم الإنسان.. هذه حياة لا تطاق.

أمور حياتية.. ولا أجد واحداً يكلمني عن الرواية.

ـ هل أن كثرة التشبيه تضعف العمل الأدبي؟.

.....

اليوم فكرتُ بامرأة.. بـ (م) بعد أن قررتُ أن لا أفكر بها.. وحرقتُ جميع الأوراق.. ثمة عفريت يسكن في هذه المرأة.. ثمة سحر يحركني نحو شيء تمنيته فاضعته.

كل شيء يمكن أن يحدث هو في حدود الاحتمال.

31 ـ آب

لو أتيح لي لبدأتُ من جديد. أنا الذي آمنت كل ذلك الزمن بنفسي وبتفوقي. لازلتُ مصراً على غبطتي وقوتي، ولازلتُ أنسج حبلي للتسلق نحو الهدف.

قلت أن جو القرية كئيب ومتشابه، وعليّ أن أعود إلى نينوى لأريح نفسي من ألم الكتابة. وكنت قد اتفقتُ مع الأولاد: ناصر، وسعد ورزاق أن نلتقي في غرفة (60) من أقسام كلية الطب.

Twitter: @ketab_n

وخلال خمسة أيام عشنا فيها حياة بوهيمية، ابتداءً من فوضى الغرفة، الكتابات على الجدران، البحث عن كِسرة خبز، الإفلاس، الكتابة.. ثم الذهاب إلى الجامعة للتزود بالألم والذكريات ورؤية الوجوه المتعبة.. كانت السيجارة نادرة ندرة السعادة..

وكان كل شيء أمام الشرفة يتمثل لنا في الخوف، والسلبية ووقع أقدام رجال الأمن المتوقع.. كل شيء كان خطأ.

آنذاك شربتُ ثلاث زجاجات من الجعة وسكرت، وكنت مستعداً لذلك.. بكيت بكاءً مُراً. كنت كئيباً، واعترفت أمام (حسين بطال) بأن (م) هي التي قتلتني، وأنني مازلت أحبها.. ومع ذلك حاولت أن أمحو الحب بحب، أن أزيح (م) بـ (ن) وفشلت.. وأصبحتُ محطماً لا أقوى على قبول امرأة. وجدتُ، فجأة، نوع من الرفض الداخلي تجاه المرأة.. وبدأت أتوق نحو جسد أنثوي فحسب، أفرغ فيه شحنتي.. هذا إفلاس آخر على صعيد الرجولة. وثمة إفلاس أكبر: هو الزمن.

فلَستُ أملك الزمن للقيام بكفاحي: القراءة والكتابة والرسم.

أما الرسم فمستحيل دون شتاء ووقت فارغ ومكان خالٍ، والكتابة لا أستطيع الشروع بها؛ (جاءت العسكرية، أُجِّلتُم شهر.. أُجِّلتُم عشرة أيام.. وهكذا). القراءة القلقة وحدها، وأتساءل أين وقفت الرواية؟.

Twitter: @ketab_n

22 ـ أيلول

كنتُ متوقعاً لقصة (عرانيس) أن تفوز بمسابقة القصة القصيرة، وقد فازت فعلاً بالجائزة الأولى يوم (8 ـ أيلول).. وقبضتُ (2000 دينار)، والتقيت بكتاب عراقيين كنت أحلم أن أراهم فقط.

الآن مجرى حياتي تغيّر، خاصة في الأُسرة، حيث كنت أُؤنَّب على انكبابي في القراءة، والآن أصبح العمل مشروعاً.

في القرية فهم الناس على أنها مجرد قصيدة مديح، أو قصة مديح للحكومة، ولكنهم احترموني بسعة هذا المبلغ الذي سلَّمتُه بيد أمي. كتبي أصبحت في مأمن، واستردتُ بعض رجولتي، هذا من جهتهم.

أما من جهتي، فقد أصبحتُ أكثر قلقاً وضياعاً، وأصبحت الكتابة بالنسبة لي عملاً أصعب.

هذا لا يمثل طموحي بالرغم من أن نشر كتاباتي أصبح سهلاً جداً.

إن طموحي هو (نوبل).. هي الكتابة المخلصة، الاحتراق، الإبداع والخلق والابتعاد عن الزيف والمؤسسات والدعاية والشهرة.. الاسم لا يهمني، إنما العمل، نوعيته.. أريد أن أكون مثل كازانتزاكي أو همنغواي أو فتزجيرالد...

أمامي مرحلة صعبة.. مطلوب الصمود، والاستهزاء بالشهرة والمدح...

Twitter: @ketab_n

26 ـ أيلول

في يدي سيجارة (سريّة) أعرف أنها ستنتهي بعد حين.

أعرف أن العزلة أصبحت أمنية، وأن الاختيار صار مستحيلاً.

ولكن ثمة شيء الآن، ثمة ضوء، حلم سعيت إليه طويلاً:

رأيتُ (نادية) بالأمس في نينوى، وقد ذهبتُ لأجل ذلك. كانت خجولة، وحشية، مترددة، وكنتُ شغوفاً بها، ومطموساً في سحنتها.. في وجهها (المودلياني). أهديتُ إليها رواية (سدهارتا)، كتبتُ: «إلى نادية –زهرة عباد الشمس– أهدي..». وقبِلَت إهدائي. وأهديتها مجلة فيها أوراق سرية تشرح وقائع حبي.

هذه الفتاة ستنوّرني، هي جنة حلمي وتوقي واشتياقي، هي تمزقي وانتهاء تمزقي، هذه القبيلة من النساء، هذه الرائعة العذبة.. ملجأي.

هي أهلي، نادية مملكة سكوني وثورتي وأملي، نادية حبي.

سأنتظر، سأرى، وقد خطوتُ الخطوة الأساسية نحوها، نحو عتبة قلبها.. ستكون محطتي الأخيرة.

* * *

Twitter: @ketab_n

بعض الكتب المقروءة في صيف 1983

1ـ رولان بارت: درجة الصفر للكتابة.

2ـ أوسكار وايلد: صورة دوريان جراي/رواية.

3ـ ف. سكوت فتزجيرالد: جاتسبي العظيم/رواية.

4ـ علي زيعور: الفلسفات الهندية.

5ـ حنا مينه: الثلج يأتي من النافذة/ رواية.

6ـ صنعة الرواية: ترجمة عبدالستار جواد.

7ـ حنا مينة: الشراع والعاصفة/ رواية.

8ـ دستوفسكي: ذكريات من بيت الموتى/رواية.

9ـ هيرمان هيسه: ذئب البوادي/رواية.

10ـ جاك لندن: العقب الحديدية/رواية.

11ـ مايتسن (ترجمة: إحسان عباس) : ت. س. اليوت الشاعر الناقد.

12ـ بلزاك: امرأة في الثلاثين/رواية.

13ـ عبدالمجيد لطفي: فتحة أخرى للشمس/رواية.

14ـ أنطوان ده سانت ـ اكزوبري: أرض البشر/رواية.

15ـ ابن طفيل: حي بن يقظان.

Twitter: @ketab_n

1984

رأيتهم يسقطون تباعاً، واحداً إثر واحد.

لم أستطع الإمساك بشيء، سوى رأسي.

آه.. ما أصعب أن نبقى عقلاء في العالم المجنون.

سمعتُ عن مسابقة في الصُراخ، وأعتقد بأنني سأسجل رقماً قياسياً إذا ما صرخت.

* * *

14 ـ 2 ـ 1984

«أجمل نبع في الأرض: المرأة

أجمل طفل: هو الذي لم يولد بعد

أجمل كتاب: ذلك الذي لم نقرأه بعد».

Twitter: @ketab_n

هذه (اللحظة) التي أود أن أصبح عبداً لها إلى ما لانهاية. ذلك أن حالة الوجد الفني قد عادت إليّ وشعرتُ بتنمّل في جسدي: هكذا.. منذ شهور -بالضبط منذ دخولي الحياة العسكرية- لم أعني هذا الاسترخاء اللذيذ الذي يزاوج بين الوعي ونقيضه، بين الروح والأداة.. بين الكرسي والجالس، ليحمل في خطّافاته الحياة الوعرة.. فأصرخ: أحبكِ أيتها الحياة القحبة، أحبكِ جداً.

كانت الأشياء تحمل عبق الخشب الرطب وجنون دقائق الغبار.. وتحمل إليّ صورة نمر في حالة الوثوب.

على أن نفسي -نفس الفنان- تشتاق إلى خربشة الأنثى دائماً وصهيلها عند رأسي، إلى تكوُّراتها.. الأنثى: حيث يسعى الفنانون إلى الاتحاد بعالم المسيح أو محمد أو بوذا والوصول إلى (نرفانا) جمالية..

كل شيء يحمل طعم الأنثى: عميقاً حتى النواة، دقيقاً، معذباً، هاتكاً.. كل ما يحمل توسلها يلغي خشونة الجندي ويقذفها إلى لا مكان..

وكلما يذكرني ضحكها بتفتق الثمار.. التي لم أتعرف عليها كثيراً.. التي خدشتني ومضت.. وكنت أتوق، بغباء، إلى رسم خط منطقي للعالم وألغي الانفعال.. وبغباء أيضاً، ألغيت الدهشة -دهشة زوربا العظيم-حين كان يفتح عينيه في الصباح فيندهش أمام البحر كأنه يراه لأول مرة.. يا إلهي هذا بحر..!.

لم أكن قياسياً في حال،، لذلك بدأت أفقد براءتي.. أخاف أن

Twitter: @ketab_n

تهرب هذه البراءة.. أخاف على الدهشة أن تتسرب من بين أصابعي كما يتسرب الماء،

.. كما أخاف أن تخدشني التجارب التي لا تأتي من المغامرة...

* * *

فتوحات عام 84

إنني أهيئ نفسي لقفزة الافتراس.

قريبة هي الساعة التي سأعلنُ فيها لكل شيء: وداعاً..

ولكل شيء: مرحباً.

* * *

حين نفخت ريح عالية في الغابة، بدأت الأسود تتظاهر بالنوم.

أعتقد أنني أحب الطحالب التي هي مُلك للماء.

السيد الحنطيّ، أيها النمر الذي يشبه عباد الشمس.. أين هو الفرح الذي ضيعناه بالمسرة؟

أين الساق؟.. السُويق الصغير؟

لا أستطيع أن أكسر قشرة الحديد وأخرج إلى الناس شاتماً، بأن: غيّروا هذا المنهج.. غيّروه.

Twitter: @ketab_n

كلما حاولتُ أن أحمّل نفسي مشقة الجنون، اعتدلت.. من ذا الذي يدلني على عروة الحب.

الحب هو أكثر الأشياء تعرضاً للصدأ.

* * *

إليكَ أنت.. يجب أن لا يسعدك الموت.

إنني لأرجو أن لا أسميكَ بصائد العصافير الميتة.

أتعرف؟.. هي فكرة صغيرة.

إننا حين نكتب أدباً متعباً، فكأنما نطلق الرصاص على المشنوقين -لعلي أقصد توجيه التوبيخ إلى نفسي أولاً-

لن أطمئن حتى أقوم مقام (إسرافيل) نافخ البوق.. طُوط.. طُوط.. استيقظوا من هذا الموت.

ولكنهم اعتبروها مزحة الصباح، وسحبوا الأغطية فوق الرؤوس وغاصوا في شخير.

ربما لن يكون لنا طريق غير الله..

هناك، علينا أن نصعد، وهناك يجب أن نستقر، قريباً جداً من كلمات السر.

ليس ثَمّ شيء في الكيس.

Twitter: @ketab_n

حسب منهج البعض «لا شيء غير الذرات والغبار».

هذا التنفس العسير الذي يشبه قطعة إسفنج ضخمة.

علينا أن نعلم أنفسنا، أولاً، كيف نمشي على الماء، ثم ندعو الناس لأن يفعلوا ما فعلنا.

أنا كسول أكثر مما تعتقد، وأنتَ كسول أكثر مما أعتقد.. هذا الكسل الذي يجعلنا نحلم أكثر مما يجب أن نفعل، ونحب أكثر مما يجب أن نعانق أو نجرح.

إن الكسل هو عدو العبقرية الأول.

ليس هناك موهبة، فالعبقرية لا توجد.. إنها تؤخَذ عنوة.

* * *

إنني أخاف من شيء واحد، هو أن أخاف من الكلمة، فلا أكتب أي كلمة.

أرغب أن أكون صالحاً، إنما أخشى أن أنغلق للتأمل فقط.

بدأت التجليات تثيرني، فأبتعد بقدر معين عن موضوعية العالم.

العالم هو الكلب.

والكلب وشم على رأس الأنف.. أليف ومخيف.

لقد ذهبنا كثيراً وراء.خطأ الغرور ووراء محاولة إنجاب الفئران.

الزمن ليس قارورة فارغة..

Twitter: @ketab_n

يا صاحب.. المكان هو السر الذي ينفخ في رمادنا.

إننا نعتقد كثيراً بأننا نحب الزهور والفراشات..

هذا غير صحيح..

إنما نحب الكراسي المحطمة، حقيقة نحب الأشياء المشوّهة.

ولا أعلم لماذا تكون عيون المرأة الواسعة أجمل -في رأينا- من العيون الضيقة؟.

وفي (السيمنطيقا) اللغوية، هناك أكثر من دلالة للكلمة، دلالة موضوعية تخص اللفظ ومخارج الحروف (الكلمة مجردة) ودلالة ذاتية اشتراطية، ما يرتبط بالخبرات والوقائع النفسية التي تخص تاريخ الخبرة المعبر عنه بالكلمة. وهناك اختلاف المعنى في السياق.

ربما سأضع رأسي على حجر،

هذه حرب اللفظة الدقيقة.

ربما لن أحصل على كلمة دقيقة.

ليس ثمة شيء سهل، إذا أخضع للفحص فإنه يخرج من مربع الحس إلى خط التجريد.

كنت أدعو نفسي لإملاء فراغ اللحظة. الفرح الكامل أو الحزن الكامل. وحده الرجل الحجري البدائي يستطيع أن يستمتع بلحظته حد الدهشة الدائمة.

وقد وصل الأمر كذلك إلى اعتبار الحزن الكامل لذة أيضاً في العوالم الرومانسية..

Twitter: @ketab_n

ولكن من أين لنا أن نجد منهجاً في حوض الصمغ هذا، أو غرفة الحشرات..!؟.

بقيت أحذر نفسي من الإيمان وظللت أشك باللحظة وأقلّبها على الأبعاد الأربعة.

وبقيت أفحص المحسوس فتحول بالتكرار إلى مجرد.

ربما هذا هو سر الرتابة في أيامنا: تكرار إطلاق الأحكام، أو تكرار الشك.

جرب أن تلفظ كلمة عدة مرات، وتتأملها، ستصل.. لابد، إلى عدم الحس بالمعنى.

اسمك مثلاً: ماذا يعني لو كررته عشر مرات وتطعمت به على سبيل فحص المعنى.

ولقد دعونا إلى التلقائية مرة أو مرتين، ودعونا إلى الوحشية مرات عديدة. هناك في عوالم (هنري روسو) الساحرة، أو بذاءة (خوان ميرو) الجميلة.. ولكن يلزم التدريب.

لم نتعلم كيف نكون أطفالاً ومفكرين في آن واحد، بعد.

لي عودة الآن إلى مسألة التجليات، وبعد أن أمسى الحديث عن (المعنى) أشبه بالحديث عن ابن امرأة عاقر.

إن (ابن عربي) المتصوف يطلق صيحته بوجه الفكر، ناكراً، مهدداً نفسه بالجوع والإجبار، لكي يعطي فرصة الحديث للفؤاد..

Twitter: @ketab_n

والفؤاد وحده. مركز الحب والاكتشاف الحدسي البريء. للوصول إلى دكة اللذة.. إنه يبعد الفكر لكي يلتف عليه ويمسكه إمساك العصفور في العش، فالسهام والشِباك والحِيل لا تعطي مثل لذة الإمساك باليد.

وجرب أنت، أن تتدرب على رؤية النور المنبعث من وجوه بعض الناس.

كيف للأمر أن يحدث بدون طقوس.. لا أعتقد أنه سهل ممكن كمثل درجة الاعتقاد.. بل يحتاج إلى تهيئة وإعداد واستعداد.. الطقس.. الطقس..

هذا هو الانقلاب الذي يحدث في نفسي هذه الأيام، ولا أعلم ماذا أسميه إن لم أسمّه انقلاباً روحياً، إذا لم يكن هو بالضبط.. فهو يشبهه.

في هذا الحديث استثني العامة من الناس. وأقول: ماذا يكون الإنسان لو لم يكن له عقل؟!.. بلا شك، سيكون أكثر الحيوانات ضرراً على الحيوانات الأخرى. وأكثر الناس كذلك.

لذلك يستوجب التصنيف مقدماً في سلالات الزواحف السامة التي قد تفيد الأذكياء بجلودها الثمينة.

لست بقادر على دفع الأسباب. إنني أذهب إلى (الروح) ولا أفكر بالنتيجة، وإنني أجد هناك من يقول لي: حذارِ من التفكير في ذات الله.

يا الله.. كيف أتعرفُ عليك إن لم أفكر بك؟!.

لم أفكر بالخوف من نتائج مشاكسة الأرواح، ولا أخاف أن

Twitter: @ketab_n

تفاجئني الملائكة في هيئة الطير والبشر.

وقد تعودت على رؤية الأشباح في لوحات (سلفادور دالي)، وعرفتُ معنى تحول الضوء إلى نار في إشراقات (رامبو).

أفضل ألف مرة على أن أكون أحد الكلاب على أن لا أعيش عيشة الكلاب.

* * *

سلم طويل ذو أربع عقفات ينتهي بـ(يُمنع دخول الرجال رجاءً) على باب الطبيبة النسائية، مما جعلني أعتقد لحظتها أن العضو الأنثوي جهاز وسخ سريع العطب، من خلال الجدران المتسخة، وبعض اللوحات المُخَلَّعة.. إن طلة صغيرة عبر الباب تكفي لرؤية برميل القمامة، وغرفة استقبال قذرة، أرضيتها مغطاة بقشور الكرز وأشياء أخرى لا أفهمها تعود للنساء.. أحاديث عن..

* * *

1984_10_17

لا أستطيع أن أُصدق، لحد الآن، أن أمي مازالت بخير..

Twitter: @ketab_n

1985

عزيزي حسن مطلك..

«كل ما لم يكن معرضاً للعراء فهو مزيف أصلاً.. وأعني بذلك الأدب».

انومينو

ـ أخاف التجارب التي لا تأتي من المغامرة ـ

حسن مطلك

« معظم النساء تسافر لأجل الحديث
أما الرجال فيسافرون لأجل النساء».

حسن مطلك

* * *

(تليها صفحات طويلة بعنوان: (ظل الباشَق على الأرض) وهي جزء من (كتاب الحب)، تبدأ كالتالي[1]:

1 . هذه الإشارة من عندنا أيضاً وليست من وضع حسن مطلك. وقد صدر (كتاب الحب) عن الدار العربية للعلوم، بيروت 2009م.

Twitter: @ketab_n

«البدء من اللحظة الصعبة 21 نيسان 1985 الساعة العاشرة وعشر دقائق مساءً؛ سيجارة سرية بين رفوف كتب لا تعنيني. بعد أن أعلنت للملأ أنني مقلع عن التدخين.

الأحداث لا تأتي عندما أنظر إلى حياتي وكأنها كدس من الحطب الجاف. أبدأ بالقريب جداً، وأنتهي في المستقبل إلى الطفولة. هذه كلمات حُرة، ليست مذكرات أو اعترافات.. إنها لا شيء أبداً.. لا شيء ».

وتنتهي كالتالي:

«هذه خاتمة المشروع. إن الذكريات لشيء قاتل، أن أعيش تلك الأحداث مرة أخرى، أعيش ألمها، وأفسره لكي أكتشف إن كان ثمة لحظة أعتبرها سعيدة في حينها، ثم أفسرها تحت غلواء التذكر لأكتشف أنها لم تكن لحظة غبطة، بل نوعاً من الألم المر.

لا طائل أبداً من استمرار محاكمة الذات، مادامت النتيجة واحدة؛ الإحساس بالخراب والعدم. وما دامت تلك الذكريات ـ وقد حفرت فيّ ـ لن تذهب عني. لمَ أحرص عليها وقد صنعت التدمير الكامل في كياني؟.. لا جدوى.. لا جدوى.

هناك ذرائع أخرى: الكتابة خارج الذات لكي أجعل الوجود ممكناً. أعتبر أن هذا الأمر صحوة حرة، فكان الهدف من هذه المذكرات هو الوصول إلى نتيجة معينة، وقد وصلت في البداية.

Twitter: @ketab_n

أرجو أن أكون قد أصبحتُ عبداً للكلمة حد الصلاة. الآن: هيا يا صديقي يا (أنا) إلى العمل، إلى الأوراق البيضاء الرهيبة، كيلا تظل بيضاء بعد الآن».)

* * *

20 تشرين الثاني 1985

أولاً: ثمة فروقات بين الحصار والإمكان. كل شيء ممكن يحتاج إلى جهد، وهي الطريقة المثلى للخروج من الحصار.

ثانياً: النار ضرورية لكي أقفز إلى مكان آخر ملتهب.

ثالثاً: كل شيء مزيف عندما يخرج عن حسابات القدرة. وهذه هي الخطوة الأولى لكل عمل ممكن، وإن كانت في جدول الأحلام فقط.

رابعاً: يجب أن أبدأ الكتابة عندما أخسر كل شيء. ما من شرط يرافق هذا الشرط.

ولكنها قابلة للكسر، لأن اللعنة تكمن في أسبقية القرار على الفعل، وبذلك نخسر قيمة المغامرة.

ثمة الذي فاتني، وكانت هي الأخرى لحظات مزيفة. أربكت نفسي كثيراً في أمنيات الدبابيس على قطعة الوبر، أو في أزمنة ـ أسميها فرصاً ضائعة ـ ماذا يحدث لو كان مدخل غرفة الطعام.. إلخ.

إنه العزاء أخيراً، وبعد ثلاثة أيام أخلع الحِداد.

* * *

Twitter: @ketab_n

3 كانون الأول 1985

في الكتابة:

يقول يونج:

«لقد قادني اكتشاف أن اللاوعي ليس مجرد مستودع للماضي، بل ومليء أيضاً ببذور المواقف والفكر النفسية المستقبلية.../ إن أفكاراً جديدة كل الجدة وفكراً خلاقاً، يمكن أن تظهر أيضاً من اللاوعي ـ أفكار لم تكن واعية من قبل البتة.. إلخ».

وهذا يعني -في حالة الكتابة- أن استخدام خصائص الوعي وحده لا يكفي، تحت ذريعة السيطرة التامة على الموضوع المراد كتابته، وإنما، قد تتوفر لحظات من التنوير والإشراق المبدعة بترك جزء من اللاوعي يسير في مجرى العمل، كنوع من الحرية الرائعة التي تعطي نتائج مذهلة في أغلب الأحيان.

* * *

عندما تنتهي قناعاتنا مع زوال الفصول ويصبح الرضى نادراً، عند ذاك، نبدأ بنقر القشور مثل فرخ في بيضة.

تُذكرنا الصباحات خلف الأقفال بوقفة ما، امرأة، عشبة عزيزة، خسارة، كل شيء حتى رماد المواقد الخابية، كل شيء، ما عدا الأصدقاء المخلصين.

Twitter: @ketab_n

.. وحتى هذه الأشياء جديرة بالنسيان، لكي نكون حقيقيين ولو لمرة واحدة.

* * *

كل ما يحيط، أبكم، ولأن الستارة اندفعت فإن الشباك مفتوح. الساعة تدق، تدق على خشب منضدة التجميل، وصورتها في مرآة تعديل الشَعر. المرأة تنشج، لأنني نزلتُ عن السرير وبدأتُ أكتب في الظلمة. ثمة عاصفة في الخارج، رياح شديدة تدفع أواني الطبخ المُؤجَّل غسلها إلى الغد.

أسمع المطر يتخلل كل تلك الجلبة مع انتفاض في أوراق الشجر يعبر عن رفض أو انتشاء، وهدير سيارة غائصة في وحل الطريق.

الساعة تدق والمرأة تعصر أنفها لتحبس الدموع وهي تحاول أن تستدر عطفي.

إن السجادة باردة ومنقوشة كما أتذكر في النهار، وإن وميض سيجارتي يبين هندسة النقوش، مع ذلك، فإن الانتباه مشدود أحياناً إلى محاولات السيارة أو إلى طرقات الأبواب الحرة على بعضها (اصطفاق).. وإنني أُؤجل كل شيء، فقد أصبحتُ على رضى تام، وسأصعد وسادتي وأُقبِل المرأة.

.. إنني راضٍ لأن العاصفة مستمرة، ولأنها تمطر بعد النافذة..

* * *

Twitter: @ketab_n

أيها السادة، أيها السادة: أيعجبكم موتكم. أن تبصروني عارياً مجرداً من كل فئات النقد؟.

* * *

قصص مُقتَرَحة[1]:

1ـ مُفيد.

2ـ لَبن الفولاذ.

3ـ إعلان وفاة الطبل.

4ـ مسامير الأخوة.

* * *

1987

.....

* * *

1 . أي أنها عناوين لقصص قصيرة كان حسن مطلك ينوي كتابتها.

Twitter: @ketab_n

1988

-1-

تمنى أن أجد، على نحو سقوط الشهاب في الظلمة، أولئك الذين أخلصت في عشرتهم فيما مضى، وتخلو عني ببطء. أجدهم فجأة في غرفة مغلقة، لأحاسبهم، وأنا مسيطر عليهم ضمن ارتفاع زمني كاف يتيح لي أن أرى تلك الأخطاء الغبية وهدر الوقت الثمين والانفعال الأخوي المزيف. أراها برؤية (الآن) الذي يشرف على الماضي ويقيسه بمثابة ندم على حياة عشناها دون أن نعرف -آنذاك- أنها لنا... لربما كحلم حلمته عن مضاجعة الممثلات.

كنت نائماً، وكان ضيوفي الأعزاء في بئر عميقة، فسقطت حين أردت أن أخدمهم؛ سقطتُ مع (الصينية) سقوطاً سريعاً يضغط عمود الهواء، ولكنه سقوط واعٍ لا يسبب الأذى، عندها استقبلوني على حافة الكراسي بسخرية تشبه تلك التي نرى الناس فيها يسقطون فنشيح بوجوهنا لكي لا نُشعرهم بأننا رأيناهم يسقطون. نضحك في جلسة الضيوف - الشارع. الحجر المُكَدِّم هناك، ضحكة مضغوطة أمام بائع العصير الذي يعتقد بأننا نعاني من العطش، فيُضيّع ضحكنا، يذوّبه، في صوت انسكاب العصير.

Twitter: @ketab_n

ـ II ـ

من منكم سيُـقدر انقطاعي هذا؟ لطالما أغلقت باب الدخول كي أفتح النافذة على العالم، حيث الثمار الذهبية مخبوءة تحت الأوراق. مثلاً: من يعرف عالم الحشرات السري؟.. عوالم أخرى تحيا فيها الأشياء التي نظنها جماداً، لأنني بالتحديد، غير المحدَّد أبداً، أتمتع بحس دونجواني. أرجو أن تأتي امرأة ولو لمرة واحدة، تمثل جميع النساء، لكي أفتح لها الباب المؤدي إلى النبض، باب القلب. المقبض. مقبض المقلاة، حيث يمكن غلي بعض العواطف، أو بعض شرائح اللحم لأجل جلسة سرية في مكان سري، وكأس من شراب الحنين إلى شيء سري، ورقص داخلي.. عندما تكون العين إلى الداخل تعكس صورة العالم دائماً. وقفة أمام مرآة تصفيف الشَعر. دكة. الأدوات التي تنتهي جميعها بالقلم.

ـ III ـ

ليس ثمة ما يجعلني..

مشاعر لا يمكن وصفها إلا بعد فوات اللحظة بسبب الاستغراق حين صدمني حائط مهدم في منعطف شارع، توقفت: أخبرني ما الذي أراه؟. الحقيقة أنني توقفت أمام دكان الحلاّق، فقد تذكرت بأن هذا هو الموسم السنوي لسقوط شعري، الذي يجب أن يكون قصيراً إلى حد ما لكي لا تتعب البُصيلات في عملية التغذية،

Twitter: @ketab_n

والتغذية تأتي من رأسي. تذكرت: أنه ليس أول حلاّق أتوقف أمامه، فقد توقفت أيضاً أمام دكان البقال بعدما مررت بعدة بقالين. تذكرت أن أمي أوصتني بجلب بعض الخضار. الآن، دقت الساعة في الغرفة فأجفلتني حتى حككت رأسي؛ شَـعري طويل. آه.. لقد نسيت أن أذهب إلى الحلاّق، لأن أمي قالت: «أين الخضار؟». لقد صدمني الحائط المهدم: شيء يُذكِّـر بالرحيل أو العدوان. كانت هناك ضحكة ومشجب ملابس على الحائط، وبعض آثار تدل على تزحلق مسند كرسي.. ربما يُذكِّـر بالنسيان.

ـ IV ـ

كان الشتاء يحيط بالغرفة يوم الخميس، حيث أضطر لاستخدام السُلّم للوصول إلى غرفتي، فلا بد أنني كنت غاطاً في أحد الكوابيس التي تصنعها لي مهارة الخيال في لحظة غيابي، كذلك مرت بقرة تتبعها صبيّـة فوق حمار، مرّ فلاح يتبعه فضوليّ يقيس مقدار تعبه لكي يتمكن من قياس وفرة المحصول فيما بعد، لأجل الحسد ربما، بينما كنت نائماً في النهار فلا أعرف حقاً؛ إن كان فلاحاً يتبعه فضولي، أو بقرة تتبعها صبيّـة فوق حمار، ولكن لابد من ذلك، لأنني كنت غائباً حين سمعت خطواتها في الحلم فاستيقظت.. فكانت خطواتها في الممر، إذن فقد استعملَت السلّم.. ربما فاتني السلّم في الحلم.

لحظة لا يمكن إحصاؤها، حتى أنني لم أعد أميز، لو لا علبة السجائر التي أحضرتها في الوقت المناسب حين نفدت سجائري

Twitter: @ketab_n

والتجأت إلى النوم تجنباً للحاجة إلى الدخان، ولكنني حلمت بأنني بحاجة إلى دخان، لو لم أستيقظ فأجد العلبة وأشم آثار العطر في ملابسي، قلت أشم رائحة النيكوتين، عطر المرأة، نيكوتينها المعطر، بعدما انقضت فترة قبل سفرها. كنت بارداً تجاهها تماماً، فكيف أصدق أنها جاءت ثم ذهبت فعلاً. لا أذكر أنني رأيتها تماماً، بينما أستطيع أن أتذكر بأنني عانقتها وقبلتها ثم شكرتها على علبة السجائر. وكان النوم بمثابة هروباً يختصر لي الوقت حتى موعد رؤيتها مرة أخرى.

ومنذ يوم الخميس صرت حاد العاطفة، شديد الحساسية، أتذكر تلك المرأة، كأنني ألتقيتها قبل سنوات: أين؟ متى؟.. طعنتني وذهبت، فغبتُ تحت الغطاء. آثارها. هنا جلست. هنا قالت: أحبك. وقبلتني ثم دست الرشوة تحت الوسادة لأنني أحب التدخين، وسوف أحب من يُسهل لي أمر مواصلة التدخين. وهي تعرف أنني رجل كسول ولذلك أنام في النهار. متى حدث ذلك؟ لم أعد أذكر. خفت. إذ ظهرت لي من جديد مشكلة الزمن والحاجة إلى إثبات الوقت بنسيان الساعة، كأنني لم أعش.. كأنني من بلاد أخرى..

* * *

حين استيقظت، توجهت فوراً إلى إبريق الشاي، ولكنني بدلاً من أي شيء، أمتع نفسي يومياً بمشهد الفجر لحظة انسحاب الحيوانات نحو الدغل. أزحت الستارة بحركة حذرة من إصبعي: طقس نحاسي،

Twitter: @ketab_n

والشمس تنحدر نحو الغروب، فانسحب المشهد ببطء نحو الشمال حين أظهرت الثعالب رؤوسها متهيئة للإغارة على القرية. فكرت بكلمة (سعادة)؛ برودة هذه الكلمة وخوائها، عندما قارنت كل شيء هنا بلحظات الارتعاش، أيام كنت مجنوناً بموسيقى (شوبان).. في لحظات لا يمكن الإحاطة بها ولا يمكن تحديدها أبداً. كيف أُصبح سعيداً دفعة واحدة وبلا متاعب مسبقة؟. عطر النيكوتين، أذن الثعلب. أستيقظ بينما تغرب الشمس..!. إننا لا نستطيع أن نتذكر بالضبط أيامنا بدون أن تكون ثمة نكبات أو زلازل نفسية وجرح يُنكأ كلما تقدمنا بخطوات حرونة نحو الشيب... مرة أخرى: السر يكمن في المشهد الشمالي، بالضبط.. في اصطياد هذه الفكرة لكي نكون أفضل دائماً. أنا بالتحديد، ألاحظ بأنني مازلت أحجز الستارة بحذر إصبعي. ينزلق البصر نحو إبريق الشاي فيدخل ضوء الغروب ويلوّن كل شيء. وأقول: انني أصبحت سيئاً إلى حد ما لأنني أريد أن أعرف ما الذي تفعله هذه المرأة بعيداً عني؟ مع من تتحدث؟ مثلاً: هناك... ليس لهذه الإشارة من تحديد طالما أن الأشياء تتلون جميعها بلون النحاس، لذلك يجب أن أكون أكثر سعة، لحظة العودة للإمساك بتلك الفكرة التي تقفز لتصبح جزءاً من المشهد اللانهائي.. مشابهة لكل فكرة عن المرأة التي جاءت ثم ذهبت...

Twitter: @ketab_n

ـ V ـ

بعض أساليب الكتابة تصنعها عادة الخوف من الفئران، ولا بد أن الأمر كان كذلك بالنسبة لـ(مارغريت دورا) مثلاً. الحذر في القول وعدم التأكد. قد يعود الأمر، بالنسبة لي، إلى عادات خفيّة تعلمتها في الطفولة؛ إحساس سري يوجه اللغة، نكران للحقائق وعدم تصديق البصر، والشك الدائم بحقيقة وقائع الحياة.. فكل ما يفعله الأديب لكي يُدهش الناس، هو وصف العالم بعين طفل.. بغياب كل ما هو موضوعي والتساؤل الدائم وتحجيم الأشياء الصغيرة، والإصرار على إضفاء معنى معين لكل ما يحدث.

ـ VI ـ

لو أردتُ أن ألتقط صورة مؤثرة للظلام. أُفضل أن أحتال لكي أقلب الذكرى من صورة امرأة عارية في ليلة القدر إلى تأمل في حياة النمل، ولكنها كانت تبكي بطريقة من يندم على مذبحة. فوق السطح، لم يكن ثمة شيء سوى الله المنذر -من مكان جد مرتفع- عبر صوت المرتِل الحزين التائب بعد العصيان المتعمد: سطح لبيت أحد الأصدقاء تحت القمر، بعض الأشياء المهملة التي نُسيت لحظة الأزمة. غصة الخطيئة. خجل من ذلك السيد المرتفع الذي نهى.. تبكي.. تبكي.. تبكي.. ضياعها. أحتضن. خجل. غطاء سميك في الصيف مخافة أن ينظر. لحظة مرعبة، ربما يسقط السقف منبعجاً إلى قعر الجحيم، والجحيم تصُوّر لأن نار النفط تتلوى في نهاية

Twitter: @ketab_n

خط البصر وتتسع عبر الدمع حتى تلامس النجوم. تتسع باتساع الخطيئة. تتكور المرأة فتكون نصف برتقالة.. كخوف يخاف.. كتمرد. وأنا، ما الذي سأقوله لله حتى أهدئها؟.. من نحن؟ ولكن لماذا يكون الله ضد رغباتنا في أن نتعرى في ليلة القدر بلا خوف منه؟.. فأما أن يُساعد أو نَعصي.

ـ VII ـ

تمنيت أن أجد أولئك الذين أخلصت لهم، مرةً، فجاءوا إلى بيتي على نحو سقوط الشهاب في الظلمة، فجأة، فبدأوا يحاسبونني بعدما استفقت من نوم هروبي، وأعطيتهم الوقت ليفرغوا صواعقهم عبر مغناطيسيتي الثابتة في الأرض. والآن أصبحوا ضيوفي فلا دفاع مني ولا هجوم قبل تناول الغداء.

الحكاية قديمة، تمتد إلى عصر الجلوس على حافات الأرصفة وعض الأصابع والأناقة الزائدة لأجل اختصار وقت الوصول إلى مَن نُحب، لأن طاقة الفكر الخالص لم تنفع آنذاك معزّزة بدفقة النشاط الأولى لتفتُح شبابنا، حيث لم يكن القدر أو المستحيل ولا حتى الحظ المضحك ضمن حساباتنا. أيام كنا مهووسين بالإنسان النيتشوي ودفقات نبع الجنون في موسيقى شوبان وقدرة مقاومة الجوع لأجل الرشاقة وقلة المال.. حين كنا نأنف أن نُصنف أنفسنا ضمن الابتدائيات من حيث القدرة على إقامة علاقة تشبه الانشطار، كذلك معاناة الدرس للتغلب على أساتذتنا في يوم ما.

Twitter: @ketab_n

كانت هي واحدة ضمن قطيع النساء، تحتل المكان المخصص لها في الوجود، في الباب، في الكافتريا والشارع.. ثم في القلب عبر وسيلة الغرور التي تقابَل بغرور مني، ولذلك فهي عرضة للزعيق من أحدهم بقصد الغزل. قوام نحيل تحوّل بمرور الأيام إلى استثناء، ليس في حسابات عرض الأزياء، بل في حسابات السرير، حيث من المحتمل أن يدخل أحدنا دورة الملاكمة ليصنع لها وسادة من ذراعه ويدافع عن جمالها بالذراع نفسها وقت اللزوم.. ولكنها تلك الرقة التي تهزم القاتل، تحولت بمرور الأيام إلى قصة ميؤوس منها بسبب تقلباتنا في الليل وحاجتنا إلى الخيانة، فذهب كل منا إلى جهة كما في الحكايات الخرافية، لنجلب مهر الأميرة... جلبنا النساء من بلاد بعيدة، بينما ظل واحد منا إلى جانبها لأنه لم يكن يريد الدخول في المسابقة... وفاز بها الذي لم يسابق، ليس لأنه خائن، بل لأنه وفيّ لنا جميعاً، ذلك الذي جمعَنا فيه ليثب وثبة النمر الرقيق.

* * *

صباح حجري. القرية مقبرة. النافذة مفتوحة على برد الصباح، برد أول الشتاء، ونمت بعد الفطور لأنني شعرت بعجز تام عن القيام بأي مجهود.. لا رغبة لي بأي شيء، ولا حتى بالقراءة كعادة يومية، إنما أرغب، بالضبط، أن أفرّ إلى جهة ما: ربيع بلا نهاية، أوخريف منسحق مثلاً. ربما فكرت بأنني بحاجة إلى شيء للتسلية، حبذا لو أستطيع أن أتمنى السباحة في النهر على الأقل. وربما لا شيء. الجسد.. جسدي

Twitter: @ketab_n

هذا الثقل الذي أكرهه. آلام تُذكرني به، وآلام بآلام أخرى، على مشهد مفتوح لخريف محطَّم، منظر رأيته ذات ليلة وتمنيت أن يزول بسرعة لكي أتذكره دائماً، منظر البعوض الميت على أسلاك الشُباك.. التجاء أخير. أُعرّف السرير بالنعش.

أخيراً: كيف أصطاد التجربة بالكتابة؟ يبدو أنني لم أعد أستطيع أن أكتب عن أي شيء، عن تجربة شخصية خاصة، لأنني سوف أستغرق في تأمل الأشياء التي تتحول إلى ما هو أكبر مني، هذا المعنى الإلزامي، هذه قائمة السرير الكروية، ركبتي. الخشب يتألم، فما معنى أن أتعرف بالناس؟ انه لشيء رهيب أن أجد نفسي معزولاً عزلة الأشياء المنسية في مخزن.

قلت: لعلها تجربة نادرة أن يقتحم البيت صديق حساس كان يكلف نفسه بمهمة إيصال رسائلي الغرامية إلى امرأة أحببتها ورفضتني لأنني أتكلم بلغة العقل، أن يجيء ليقدم لي تلك المرأة قائلاً: انها زوجتي. متى وكيف ولماذا حدث ذلك؟ بينما مازلت محطَّماً تحت وطأة الإحساس بأنني والسرير شيء واحد. أن أنتقل فجأة من موضوع ميت، تأمل في الموت إلى موضوع رطب، عاطفي، غيرة، تجربة حب مؤلمة. أن أنتقل مثلاً من معالجة جدول الضرب إلى الرقص، أو من مشهد تصليح شارع إلى ركن هادئ لسماع الموسيقى. أعتقد أن مثل هذه الإنتقالة الفجائية كفيلة بتغيير فكرة التشابه في اليوميات، إلى موضوع يخص الأمل بتنوع الحياة، لحظة يمكن أن أعتبرها قاسية ومريرة، أن يضبطك شخص وأنت متلبس: ظلام تمارس فيه العادة السرية. ضوء فجائي!!.

Twitter: @ketab_n

هل يمكن نقل هذه التجربة الصغيرة إلى تصورات أخرى؟ في الأدب مثلاً؟ في الحياة مثلاً؟.. شيء يشبه القدر. وكان عليّ أن أتنفس بسرعة وأن أقوم بإعداد الشاي بدلاً من تكليف زوجتي، ليس لأنني أريد أن أشعر صديقي وزوجته بالتقدير، بل لأنني لم أعد أطيق احتمال المشهد دون أن أقوم بحركات زائدة، أحرص على أن تكون منطقية، مع ذلك فإنه يُشَـخّص: «أنت مرتبك»، لأعترف: «نعم أنا مرتبك لأنكم.. لأنها مفاجأة.. لأنني: أنا وخشب السرير، لقد كنا معاً شيئاً واحداً.».

إنني لا أستطيع إكمال المشهد.. سأعود إليه فيما بعد.

ـ VIII ـ

مكان على الطرف، والطرف حافة، والحافة منحدر تل مفاجئ ينتهي بمنخفض عريض يأخذني لمدة ساعة وسط الأدغال والسواقي المهجورة لكي أصل إلى النهر، لأجل الوقوف في لحظة تأمل، هي في الأصل لحظة غباء تكشف عن تخشب البصر في نقطة ما من حركة الموج بمثابة عيّـنة من للنهر كله ابتداءً من المصب، لأن المصب أكثر قرباً بالنسبة إلى مكان وقفتي التي تبتعد عن مصدر المنبع.. مكان لا يمكن أن أصله دون تخيّل.

الزمان مظلم في طرف القرية. أعِد نفسي بمشاريع، عندي أمل بالأمان وسط طقس مخلخَل، محمل بصدى صرخات ومواء حيوانات جائعة، لكنها ليست ظلمة كاملة. أحاول أن أكون حراً.. بل ظلاماً

Twitter: @ketab_n

شفافاً، وهو يجعل حريتي أقل طالما أنني مازلت أعتقد بخرافات قديمة؛ جسد الشبح الهلامي، أو مخالب حيوان قرب خزان الماء، إذا استثنيت البعوض الذي يجعل الحياة أكثر واقعية مما نراه بشكل خادع. ولا حتى هذا.. بل هو شيء يبشر بتصور؛ أن الليل الحالي بلا نهاية. وهي طريقة وحيدة لكي تجد الحيوانات فرصتها في تربية صغارها على العض، ولا حتى هذا. بل هناك عمل آخر، كعد بعض الدراهم التي أعرف أنها أربعة عشر.. فقط كوسيلة للتعبير عن العجز بالاعتراف أن هذه اللحظة جزء من العَـدم السحري.

_IX_

وصف لاختراق المألوف. تبدو الأشياء مترسبة في قعر الغرفة، غاطسة، واثقة من مكانها: الكرسي الذي يجلس بثقة مهيئاً ذراعيه للاحتضان، ولكنه يبدو مائلاً حين أميل برأسي في زاوية لأراه عبر قدح زجاجي. القدح يستعمل أحياناً للماء. أشياء أخرى: سلسلة مفاتيح، لكن المكان مملوء بامرأة تعاني من آلام العادة، فهي تخرق التعليمات الطبية وتنام نوماً خاطئاً، على بطنها، وقد استعرنا بطانية الحارس لأجل لحظة خلوة فوق الأرضية الصلبة المحفّرة.. بينما هناك، تصفر الريح المغبرة خلف النافذة، تطير بعض الأشياء وتتحرك الستائر الأربع الصفراء، وقد استعنت بدبوس لتثبيتها لكي لا ترتفع فتتيح لفضوليّ معيّن بأن يستطلع، فالمرأة عارية، والمحبرة هنا إلى جانب جلسة القدح، كل شيء هادئ باستثناء المروحة السقفية،

Twitter: @ketab_n

وهناك: أحدهم طرق الباب، طرق هدوءنا فصرنا أكثر ترقباً وحذراً في الحركة.. وتأجل الهمس. في الداخل بعض الآمال، بعدما تحدثنا عن تجربة الانقطاع في الأيام الماضية، حيث كان اللقاء نادراً بسبب بعض الترتيبات السرية والحيطة. أسمع دحرجة قِدر في الريح. أسمع الصفير. أسمع تنفسها. أسمعني أتحدث عن اللحظة من مكان بعيد حيث تصبح فعالية التفكير أقل بكثير مما لو تمنيت أن أكون وحدي، وجهاً لوجه أمام الورقة البيضاء الرهيبة. لو عدت قليلاً: تضيع التجربة في لحظة حضورها...الأمنية هي الأفضل من ذلك كله..

تحركتُ قليلاً لأريح رقبتي لأنني بلا وسادة، وهي تتوسد ذراعي، لأنني قليل الصبر. فأية لحظة تمر بلا حركة هي لحظة ميتة. آمل أن أملأ الفضاء المحيط بالتنفس، والرواح والمجيء، والقفز. صوت القدم الحافي على الأرض كصوت سَحب شريط لاصق. أُحوّل المحبرة، وأَعِـد بأنني لن أخون لأنني ناقشتها حول مسألة الثقة باعتبارها خيانة.. لأننا نتكلم كثيراً عن الثقة فلا بد أن نفكر بالخيانة، مثلما اكتشفت مرة: أن الحزن الأسود كاذب، والحزن الأبيض صريح. الأسود وهو الليل الذي يدثر أشياءه بلا صراحة. الأبيض وضوح جارح. الأبيض قميصها... مرة في النهار اكتشفنا أن الصمت خيانة.. ليس لأنه كذلك بل لأنه قاسٍ كلحظة الوداع التي تعيدني إلى التفكير بالدرهم..

Twitter: @ketab_n

ـ X ـ

أنظر إلى المرآة: أنت خائن. تلف المنشفة حول رقبتك لتبدو مثل أباطرة الرومان. وجهك وحيد ومعزول. وهكذا فان الصديق الذي رآك تشرب الشاي بسرعة، قال: لا بد أن فيك جليداً تريد إذابته. وجهك يبشر بفشل الامتحان، وعيناك المظلمتان تحت بعض التجاعيد المبكرة في الجبهة، فم مائل قليلاً..

تنحني في الصورة.. الوحدة. الوحدة. أنت وحيد. أنت وحيد. سكون في الغرفة.. تختنق. منذ متى لم تنظر هكذا إلى نفسك..؟.

فتحت الباب.. أنت..

فتحت الباب. أنا. الباب إلى الفضاء حيث بعض الغيوم الثلجية تبشر بالشتاء أمام استدارة القمر الكاملة، سحاب يمشي، والمقبرة أمامه وجهاً لوجه.. بوادر الشتاء. أول البرد يحرك أجراس الحديقة التي تذكرني بمعسكرات ذقتُ فيها الشاي بلا سُكَّر. ثمة بعض الخرق المدلاة.. وهناك، حين تصاعد عواء الكلاب في جهة ما، تذكرت الغرفة، غير أن العينين. عيناه، هو، كائن دقيق الفم بين خرقتين معلقتين على الأسلاك. الباب ورائي خطوة واحدة، أدخل وأوصده بسرعة، غير أن التحديق الدقيق سمّرني، يرفع رقبته بوداعة قاطعة. ذئب؟ ربما..

تلمست المنشفة. لو أنه فكر بالهجوم لألقمته الخرقة، ولكنه جاء من الأدغال. اتذكر أنني جئت من مكان بعيد بحكم وظيفة ولم

Twitter: @ketab_n

يكن يشاطرني السكن سوى سرير ضائع في مساحة الغرفة الكبيرة، ومنضدة كتبتُ عليها: «لا تتكئ» لأذكر نفسي بأنها مسندة على الحائط، فأعود إلى نهاية الغرفة لأراه يعود في المرآة، بعيداً، بعيداً جداً. تلمع عيناه كزجاجتين تحت ظل المروحة، حيث لا يمكن رؤية بعض أواني الطبخ لأن المرآة مرتفعة. انه ينظر إليّ ويحرك رقبته، بينما تمشي الغيوم على وبره الملصق بصمغ الأدغال.. سيعود مرة أخرى إلى البريّة، لأننا.. الآن، أنا وهو، وجهاً لوجه، نؤكد لبعضنا صداقة تعتمد على شدة الرغبة بافتراس بعضنا..

ـ XI ـ

قطف ثلاث زهرات من الحديقة، وهي الزهرات الوحيدة، وقد نبتت بعناد في الأرض الجصيّة، بحماية من مسدس بناية المدرسة، ثم تنفتح الأرض لتذكر بكارثة جفاف قديمة، وتلم طياتها كصدر عجوز مسافرة، تحت مدخنة البعوض، كهالة حول رأسها. ملاحظة: لو امتلك كل واحد منا ذيلاً لاستطعنا طرد البعوض الذي نسميه أحياناً: الكلاب الخفيفة... لاستطاع هذا الأعرج بالذات؛ الذي يردد دائماً بأنه لا ينام حتى يجيئه النوم. كاختراع لغوي. لو أن له ذيلاً..!؟.. كيف؟ انه ملويّ بالضبط؛ مؤخرته تحولت إلى الجانب الأيمن، سيكون الذيل في الخاصرة. واحد من (السَـقَـطَـة) وهم كثيرون بسبب تلك الحكاية القديمة.

اقلب الصفحة في (....) ...

Twitter: @ketab_n

ـ XII ـ

كانت القرية قد تجاوزت تمارين الكراهية إلى فعل الحقد، قبل أن تفك تلاصقها وتنتشر فوق التلال حيث يمكن أن تشرف على أرض الدغل الرهيب المهتز، ليس بفعل الريح بل بسبب تلك الحيوانات البرية الشرسة. أحدها حيوان غريب ليس له اسم بالضبط، ليس له شكل لسهولة التصنيف ولا حتى طبيعة محددة يمكن أن تعود به إلى تلك الأخلاق التي ندرسها لدى الذئاب، فهو لا يُرى عادة إلا مارقاً من عتمة إلى أخرى، ولا يُستهان بسرعته قياساً إلى سرعة بعض النسور. بينما أركنت النسوة أواني الطبخ والمعاجن والمقشات خلف الأبواب، وابتدأت تكملة الحكاية اليومية عن مذكرات رجل قوي ذهب إلى المدينة مسافة يومين مشياً، فوجد بعض الأجساد اللامعة تصفق حول جسد لامع وتحثه على رفع ثقل بالتشجيع، فرفع الرجل الثقل بذراع واحدة، وانطلق الصراخ.

انطلق في طرف القرية، وكان الرجل القوي يصطاد الغزلان ركضاً حتى يُتعبها ويمسك بها إمساكاً... وانطلق الصراخ، هجم الحيوان الغريب وتوقفت الحكاية.

صرخ الحيوان ببعضهم، ونثر لحم بعضهم فصاروا يصرخون بشراسة وقد أصابهم الداء المسعور، فتركوا عشرات المشلولين والمعاقين، وشُرم الشفاه والمجانين ومشوّهي الخلقة في ذريتهم لعشرات السنين، منهم الأعرج الذي قطف الزهرات الثلاث.

Twitter: @ketab_n

ـ XIII ـ

توفي عمه ليلة البارحة، كانت ميتته هادئة، مثلما كانت حياته بلا مغامرات ولا زلازل كبيرة، ولا ذكريات، ولا إرث يمكن أن يتحدث عنه قبل لحظة طيران الروح، وقد أسبل جفنيه كأنه نائم. حفروا له قبراً في طرف المقبرة الصغيرة، بينما كان الولد قد عاد من المرعى فشهد تنفس عمه وقد عادت إليه الروح، فقيل أنه كان غائباً عن الوعي فحسب، طوته نوبة قلبية في العدم وأعادته. حينها انطلق الولد نحو القبر فتبرز فيه احتفالاً بعودة روح العم. وكانت ميتة الولد هادئة بعد ساعة فقط، مثلما كانت حياته بلا مغامرات، وربما كانت حادثة التبرز في القبر من أكبر مغامراته، وقد أسبل جفنيه كأنه نائم، فغسلوا جسده وكفنوه، ودفنوه في قبر العم بعد أن رفعوا برازه بالمجرفة.

ـ XIV ـ

كانت تجربة التوازن على حبل مشدود، بعدما ذهبَت التي يملأ حنانها المكان، وتلك الكلمات التي تعلمتها بسبب كثرة معاشرتها للرجال. تركت المكان خالياً، والمرآة كنافذة تطل علينا عندما نطل فيها. لا تقاس الخسارة بأي شيء آخر سواها. لم تعد موجودة. لم يعد جسدها موجوداً. ظلها. طبعة فمها المزوّق على قميصه الأبيض، فقد حاولت أن تقبل كتفه، ولقبلتها أثراً لا يُنسى، تلك الحركة القذرة عندما تلم شفتيها للتعبير عن الشهوة، وهو خلف السياج يجمع أصابعه العشرة محاولاً التقاط آخر نظرة منها، نظرة مليئة بالخسارة... وقفز ثلاث مرات في الهواء.

Twitter: @ketab_n

_XV_

مضت مدة لا بأس بها، كنتُ قد أضربت عن الكتابة والقراءة احتجاجاً ضد شيء خاص أعزه، وقد انطلقتُ من فكرة عن لغو المثقفين الذين يتكلمون دائماً عما قرأوه، يستعرضون بلغو فارغ، دون أن يأتوا ولو بفكرة واحدة منهم أصلاً. ولكن (ليرمنتوف) في (بطل من هذا الزمان) أعاد إليّ التأملات وجعلني أشعر بمسؤولية ما. وكنت قد تعهدت بالقيام ببعض الأعمال الجسدية رداً على عمل جسدي ارتكبته فأشعرني بالذنب، وقمت أقهر الجسد، مقابل أجر آخر.

لقد تذوقتُ مرة أخرى ذلك الطعم النتن للخواء اليومي، والتشابه، والبحث مرة أخرى عن تجربة لذة، والتخلص من عار الأسف، لأنني أصبحت دائم الشك بأن الحياة والآخرين يستحقون الاحترام، وأنني، أنا، وحدي المقدس حتى بعد أن خُلعتُ من منصب عاطفي.

بكاء على المشهد. المطر خلف الباب. والهواء البارد يمر.. فهل لديّ ما أقول؟. نعم إنني بحاجة ماسة إلى الاستغراق، ولكنني.. ألاحظ بأنني أسحب نفسي بتمهل إلى متطلبات يومية خوفاً من أن أكتب، أتورط، لأن ذلك.. لابد أن يسلخني من الحياة التي لم تعد تطاق لو لا أنني أحب أن أشهد.

مرة أخرى سأسقط في فخ الحاجة إلى محاسبة نفسي، وعندها أعرف أنني لن أرحم.. لذلك، هناك بعض التغيرات. اشتريت دراجة نارية، وقلت أنها ستحقق لي رغبة الهروب. ولكن الأمر كان مجرد لقطة بلهاء؛ أن يراني الناس متمسكاً بقرنيّ الدراجة، وأعلم أنني لا أستطيع

Twitter: @ketab_n

الاستغراق بفكرة ما على ظهرها، وإلا فسأهلك، لأن الحالة تتطلب الدقة في الانتباه والسيطرة العالية.. ثم أنني ربحت طريقة معينة في النظر إلى الطيور عبر زجاج النظارات.. وخسرت صداقة الكلاب. إنني أؤجل دائماً لحظة التفكير بنفسي.. لأنني أعرف كرم القسوة وأعرف الهوّة التي عليّ أن أقفزها لكي أعود مرة أخرى إلى الورق.

كم من مرة نفرتُ من الكتابة، ثم أجمع أطرافي استعداداً لوثبة النمر. لم أعد خائفاً من الكسل والتأجيل كما كنت، لأنني لم أعد أثق بالنسيان الذي يخلصني أحياناً من وجع الفكرة.. فطالما أن القلق موجود فأنا إذاً بخير.

ـ XVI ـ

في الحقيقة.. ليس لدي ما أقوله عن هذه اللحظة..

ـ XVII ـ

انـتـحـار..

منذ زمن بعيد، قُـدّر لي أن أذوق طعم المناطق المتشابهة كطعم الأطعمة المتنوعة التي تعود إلى صنف الدهون، وأحتل مكاناً لأدعي أمام نفسي أنني أستمتع بمنظر طبيعي أو بطيران مفاجئ لديك الحجل، غير أنني في الحقيقة لم أَخرج من جسدي منذ أن بدأتُ باختراع التبريرات، منها اتهام الناس بعدم الوفاء لكي أُحكم إغلاق

Twitter: @ketab_n

الباب وأقعد، هنا، دائماً، أمام منظر ميت من الوجود يقابلني: كيان من اللهب الذي يأخذ شكل اليأس أحياناً.. وبعض الأمل في أن أعود. أعود.. كلمة تستحق التقدير لأنها أَجَّـلَت انتحاري يومياً.

ـ XVIII ـ

مجدداً، أحلم بأن أعود إلى نفسي ببعض الشك الذي يوفر بعض التركيز. ذلك أنني قد خنقت أحلامي تحت خدعة التأجيل، وأجدني، الآن، في العودة إلى الكتابة أشعر ببعض الخجل من أن لا أكون قاسياً وعميقاً بما يكفي.. بسبب أن رأسي لم يعد يزدحم بعبق الجمال كما كان.

لقد توجهت في أيام قليلة ماضية بانفتاح كلي نحو اليومي والعملي، بنوع من الإذلال لهذا الجسد النهم الذي لا يكف عن المطالبة بالتافه والعادي من الأمور، والذي لا يكاد يشبع أبداً. أخيراً قلت اني أدخل جسد أحد التجار، بلا كبرياء فني معروف، وأنظر إلى نفسي بشكل محايد وغبي، فكيف أعتقد بسموّي بعدما اكتشفت بأنني ممتلئ بالغائط على الدوام.. وأنني قد بدأت أتعفن وأشيخ. لم أكن -في يوم ما- أتصور بأنني سأصل إلى حال كهذه؛ أن أعيش قانعاً بلا مكتشفات يومية، وبلا ومضة جمال، وبلا أية محاولة للتحليل..

انتبهتُ أخيراً: أنا خرقة مرمية في مخزن كبير.. وكل شيء هناك مغمس بتراب خانق. إنني بحاجة إلى وخزة مؤلمة تجبرني على فعل التجاوز مرة أخرى. أن أكمل ما انقطع.. وبلا توقف.

Twitter: @ketab_n

1989

حلم شخصي:

الوقت: الساعة الرابعة بعد الظهر في تموز 1989 يوم الأربعاء 19

كنت أقرأ في كتاب على شاطئ النهر، وجاء أبي وتناول مني الكتاب وبدأ يقرأ، عندها فقط لاحظت عنوان الكتاب (تأويل التاء) ثم انشغلتُ عنه قليلاً، حيث كنت أساعد أختي الصغيرة في شيء معين، وكان هو قد وضع الكتاب على الشاطئ وقال: «أريد أن أسلم على عمك». وكان عمي يعمل في حقل أو شيء مشابه لهذا، وبالإمكان رؤيته من بعيد. المسافة بيننا وبينه بعيدة، فلا أدري كيف ذهب أبي إليه ثم عاد بسرعة كبيرة. وكان النهر قد غطى الكتاب، فبحثت عن الكتاب في ماء المد، فوجدت أبي يخوض في الماء إلى جانبي، وقال: «سأعطيكَ حلوى». وأخرج منديلاً وقد صرّ فيه الحلوى وهو يبتسم، ووضع في يدي قليلاً من السمسم، وضعته في فمي وكان طعمه جميلاً ونكهاً لا يشبه طعم السمسم العادي، وقال لي: «كتابك في الشمس لكي يجف». فنظرت إلى الكتاب فاكتشفت أن جلده يشبه لون السمسم الذي أعطاني إياه أبي، فُرفعت الكتاب وكانت أطرافه قد اهترأت.. وكأن سمكة أو حيواناً مائياً قد أكل من زاويته العليا،

Twitter: @ketab_n

غير أن حروفه لم تنقص.. بل أصبحت أكثر سواداً ووضوحاً.. ثم وضعت الكتاب مفتوحاً على خشب العرزال بينما اختفى أبي بين النهر والعرزال..

* * *

أحتاج إلى كف ثالثة لمواصلة العد. الجبل عناك خلف أصابعي العشرة حيث أرى عبر انفراجاتها مكان حلمي. أن أصل فقط إلى تلك البقعة الخضراء الوحيدة في جسد الجبل. دكنات زيتونية بين السبابة والإبهام تنتهي بلمسة بيضاء هائلة تخرج من قاعدة الخنصر: صخرة في لوحة هي مركز لاستقطاب الرؤية كلها. وعند ذاك أجدني قد شعرت فيما مضى من الوقت بوجوه ساخرة تحيط بي من الجانبين حينما اخترقتُ دروب القرية إلى خارجها. أرفع أصابعي أمام عينيّ لأرى... همس وقهقهات خلفي، وتعامد لقامات تنحني مع تلال الروث، إذ يمكن أن تكون الرؤية من فوق أكوام الروث أكثر وضوحاً. وأتعثر، وأقول: لقد تألم الحجر.

ضممتُ كل أصابعي إلا واحداً: إنه آخر المحاولات. وضبطتُ شد خيط الحذاء استعداداً لمسافات قادمة: الأشجار بدل الساخرين فوق أكوام الروث. برك الضفادع النقية، والطحال الخضراء بدلاً عن مياه أوساخ الأجساد. انفتاح الأفق، بدلاً عن ألم البصر الذي سببته الحيطان.

Twitter: @ketab_n

مثلاً: أنتزع عينيّ وأضربهما بالحائط فينتثرا كبيضتيّ عصفور.

انحنيت لأشد خيط الحذاء الثاني ولكنني لم أستطع أن أصله لأن أذرعاً كثيرة منعتني عن ذلك، وغرق الحلم بالضجيج وأصوات الزغاريد ودخان البنادق. لقد أعدوا لي عروساً في زاوية صغيرة وأطفأوا الأضواء.. وسمعت صراخها تحتي دون أن أفهم لماذا وكيف حدث ذلك، ولماذا كانت تصرخ بعد أن قبلت أن تكون تحتي!.. وصوتها هو مفتاح لحناجر الجمهور خلف الحائط. تصرخ فيصرخ الجمهور، ثم بقينا معاً متعبين، لا يرى أحدنا الآخر، وانصرف الآخرون ولم يعد ثمة شيء يستحق الوصف.. أي أن كل شيء انتهى بطريقة تعجب الجميع... وفي الصباح همست بأذني إحدى العجائز: لقد رُزقتَ بطفل، وأصبحتَ الآن أكثر مسؤولية مما كان، وعليك أن تفكر ببناء بيت على أن لا تجعل بابه ينفتح باتجاه الجبل، واجعل شبابيكه من الجانبين.

استعملتُ ساقيّ بشكل مائل لأختار أكبر كومة روث، حيث أفردت أصابعي أمام الجبل وسمعتُ نداءً من هناك: اقترب، اقترب.

وكدتُ أبصر فم الصخرة البيضاء ينفتح ويناديني، فأنزلتُ بصري قليلاً. كان أمامي فم امرأة وفم طفل يصرخ: انزل، انزل أكثر.. هيا.

وأدرتُ ظهري عن الجبل بينما بقي رأسي بالوضع الأول نفسه حتى ارتمى جدار.. وضربتُ عينيّ به.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حسن مطلك

أقنعة
(أنا وأنتِ والبلاد)

شعـــر

تقديم

د.محسن الرملي

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

يقول حسن مطلك: «الشاعر: شخص كتبَ قصيدة عظيمة ثم أضاعها.»

..وهذه جملة نصوص شعرية، مُضاعَة ـ ربما عن قصد ـ عثرنا عليها متناثرة بين ما تبقى من أوراقه ودفاتره؛ منها أوراق لا صلة لها بالأدب كدفتر بأسماء الدائنين أو دفتر لرسومات خرائط البيوت مثلا.. وهي بذلك توحي لنا بأنها قد كانت دفقات إبداعية لمشاعر وأفكار وحالات انتابت حسن مطلك فاحتواها الشكل الشعري، في حينها.. على عجل؟!، وتُركت كمسودات خام، مكتوبة كيفما اتفق، منها ما لم يكتمل بعد، ومنها ما شُطِب عليه، ومنها ما هو بلا عنوان أو تاريخ، كتبت بعضها بشكل القصائد والآخر بالصيغ النثرية.. ومنها ما فُقِد حتماً.. لكنها جميعها قد كُتبت لمرة واحدة فقط دون إعادة.. ولو كان هو بيننا الآن لرفض أن نجمعها ونهتم بها. كل ذلك لأن حسن مطلك لم يزعم يوماً بأنه شاعر.. مع أن المعروف عنه بأنه قارئ نهم وناقد ذواق للشعر ومالك لزمام لغة مدهشة.. فحين سأله الشاعر عبدالرزاق الربيعي:

«ـ كيف توضح علاقتك بالشعر؟.

أجاب:ـ لقد بدأتُ حياتي شاعراً لكنني أدركت بأن الشعر يحتاج إلى تضحيات كبيرة، فانقطعت عنه كتابة لكن علاقتي به مستمرة قراءة وحفظاً.

Twitter: @ketab_n

ـ وماذا عن قراءاتك؟.

ـ أقرأ كثيراً في الفلسفة والأدب.»[1]

فهل انقطع حسن مطلك عن كتابة الشعر حقا؟.. كلا بالطبع، والدليل هذه النصوص التي كتبها في الثمانينات، وآخرها (تجربة) بتاريخ 7/12/1989 أي، تماماً، قبل اعتقاله بشهر واحد.

وكان يخفيها.. ربما وفق مفهومه لصيغة (الأقنعة) أو ربما لكي «يحمي نفسه من القراء» على حد تعبيره عن روايته (دابادا) وهو تعبير يمكن مده إلى مجمل نتاجه ككاتب. إلا أن الحماية هنا لا تتم عن طريق العرض، كما قصد بشأن دابادا، وإنما بالإخفاء وحتماً يكون القارئ المقصود، هنا، هو قارئ الشعر. ومع ذلك، فهو في الوقت الذي كان يريد أن يُبعد عنه العبء و«التضحيات الكبيرة» التي يترتب عليها قبول توصيفه كشاعر، إلا أنه لم يكن ليتردد بالتصريح عن حسه ونفَسه الشعري في لغته النثرية، لذا تطيب له تسمية (دابادا) بأنها (قصيدة غليظة) فيقول بشأنها: «استخدمتُ الشعر، واللغة إلى أقصاها، أي أنها ممكن أن تتحول إلى قصيدة شعرية أو (قصيدة غليظة) وفي الوقت نفسه، استخدمت العقل (عقلنة الشعر)؛ أخذت من الفلسفة وأخذت من الشعر»[2].

وبالفعل ففي دابادا، وكما يصف الشاعر صلاح حسن، نجد:

---

1 . مجلة (ألواح)، ص141، العدد 11 سنة 2001، مدريد.

2 . المصدر السابق نفسه، ص 118.

Twitter: @ketab_n

«روح الشعر تترقرق بين السطور»[1]. ولهذا فإن الكثير من المقاطع المنثورة فيها ستكفينا إعادة تقطيعها شكلياً لنكتشف مقبوليّة قراءتها كشعر، ومثال ذلك:

«ظل فوق ظل
جزر ومزهريات ومسامير وأنوف
.. في الظل
ربما نسي القلب واجبه مبهوراً أمام الحياكة المتقنة،
القمر ومساقط الظلال
ضوء وظل
بينما تذبل البيوت في مركز الكرة الأرضية
فتذهب الصور ويأتي الجوع أحياناً
.. تأتي قنازع القش...»[2]

* * *

«يحس بأنه حزين
ليس حزيناً بالضبط

1 . المصدر السابق نفسه، ص 170.

2 . حسن مطلك، رواية (دابادا)، المؤسسة العربية للموسوعات، ط1، بيروت 1988، ص 29.

Twitter: @ketab_n

وإنما يريد أن يبكي

وهو يراقب صوت الفجر المتسلل

بين الأحطاب

وقصب السقوف

والانطلاقة الأولى..

لعصافير العراق.»[1]

ومثلما عرَض حسن مطلك أحد وجوه شخصيته كرسام من خلال شخصية عواد في دابادا فإننا نجد وجهاً لشخصية الشاعر في قصته (مداخل إلى حياة سعيد منصور) التي جعل بطلها الرئيسي شاعراً وكتبها بالضمير الأول (أنا) لنقرأ على لسانه:

«ما كنت أخشى البلل، إنما خشيت أن يتسرب الماء إلى حقيبتي هذه ويصيب التلف دواوين الشعر التي تملؤها.. فأنا أحب الشعر يا سيدي، بل أكتبه، غير أني شاعر مغمور، لم أفكر بنشر قصائدي». و«لقد انسجمت مع رفاق العمل بسرعة عجيبة، كل يوم أقرأ لهم ما كتبت، وكانوا يلحون علي في إعادة قراءة القصيدة.. كل ذلك لا يهمني، فثقتي بشعري تفوق الإطراء الذي يسبغونه علي». و«إنني أتساءل عن حال تلك المرأة العجوز (أمي) التي تصنع من فضلات

1 . المصدر السابق نفسه، ص 173.

Twitter: @ketab_n

الأبقار أقراصاً للوقود تبيعها في أكياس إلى بلدة صغيرة مجاورة لقريتنا، سأفخر بها كأم لشاعر، سأفخر بأنني عشت وبنيت شِعري من ثمن الفضلات». و«في غرفتي البعيدة (..) وفي الجهة الشمالية صورة وحيدة (للسياب) بوجه كئيب يشبه حبة التفاح. كنت أعوي مثل كلب في جوانب الغرفة. لقد خطرت لي فكرة بالتخلي عن كتابة الشعر وامتهان أية مهنة أخرى. لقد اتهمتني هدى باصطناع الصعاب، لعلها فكرت بأني أفعل ذلك لكي أجعل العيش معي مستحيلاً.. ولكن لا.. وألف لا.. فأنا لا أذكر الصعوبات الحقيقية في حياتي، ربما لأني لا أفهم مصدر هذه الصعاب، أو لا أريد أن أفهم إطلاقاً.. إنما أصور مأساتي بأنها جميلة، وأنها ضرورية لتجعلني أحس بالجمال بحدة.. وأدخل في عمق بعيد في أغوار نفسي». و«ثمة قصيدة تنبت في لوزتي فتلهبني كأنني واقع تحت تأثير خدر ثقيل»[1].

كذلك نجد إشارة أخرى إلى الشعر والشاعر في قصته (مبعث جديد للحلاج) حيث يقول: «فكَّرَت روح الحلاج بزيارة صديق شاعر يختفي وراء نظارة سميكة الزجاج، يلهو بكلماته كما يلهو صغير بكومة أحجار.. يفتح القميص عن قلب ناري ويذيب بلهيبه الحروف العربية المقدسة. أتراه انتفخ حين قيل له: أنت شهوة الدنيا.. وأن قصيدتك لحظة نكاح ذات ذروة وانطفاء؟. هذا الكلب الذي تقوده السيدة أول من يفهم قصيدتك لو عرف القراءة. لماذا تفرح حين يقال لك: أنت وطواط يدلي برأسه في مواضع الأسن؟..

---

1 . مجلة (الطليعة الأدبية) العدد 7 – 8 تموز – آب 1984 بغداد.

Twitter: @ketab_n

على الشاعر أن يموت من أجل كلماته -خاطبته الروح- و «إن أعظم الكلمات هي التي تُكتَب بالدم».

المعروف عن حسن مطلك أيضاً، وكما أكد هو بنفسه في لقائه مع الربيعي، أنه يكثر من قراءة الفلسفة، ونحن هنا ومن خلال هذه النصوص، نتلمس، بالفعل، المزج لما هو حس فلسفي بالحس الشعري، كما هو متجل أكثر في قصيدته (الأقنعة)، وعن هذا الأمر يستطرد في حديثه السابق، عن الشعرية في دابادا، بالقول: «وطبعاً ستجد تضاداً قوياً بين العقل والحس.. ليس تضاداً بالضبط، ولكن لأنه ليس من الممكن أن نطرح حالة عقلانية بطريقة حسية أو نطرح حالة حسية بطريقة عقلانية فإما أن تصبح، في النتائج، عقلانية أو حسية.. أنا عملتها عقلانية حسية أو حسية عقلانية.. يعني الاثنين معاً».

أما عن هذا الإخفاء المتعمد من قبل حسن مطلك لكونه (شاعراً) وعدم عَرض أو نشر قصائده، فنحن ندرك الآن بأن هذا «الإخفاء» قد أتاح له ممارسة أوسع لحريته والتي قادت، بالتالي، إلى ما يمكننا توصيفه بخصوصيته الشعرية.. بل أننا نكاد نأول أن تعمده لهذا الإخفاء وإهمال وإضاعة قصائده إنما هو تأكيد منه واعتراف، ضمني، يقر به مع ذاته كونه شاعراً وذلك فيما لو حاكمنا هذا الأمر وفق تعريفه هو نفسه للشاعر في أول قصيدته (الأقنعة) حين قال: «الشاعر: شخصٌ كتبَ قصيدة عظيمة ثم أضاعها».

قلنا بأن حسن مطلك لم يكن يرضى وما كان ليرضى، لو كان حياً، أن ننشر قصائده هذه، ولكننا نرى بأن أهميته كأديب

Twitter: @ketab_n

وخصوصية تجربته الإبداعية وتفرده.. ومن ثم غيابه النهائي، كل ذلك يبرر لنا الاستفادة من كل ما خطه قلمه باعتباره إرثاً صار يهم الجميع، ومع هذا فإننا لم نجمع كل ما نعتقد بأنها أشعاره. فقد أهملنا ما هو قديم كالخواطر العادية الأولى، وما هو مشكوك بأمره.. أي ما يُحتمل أن يكون لشاعر آخر أو لأحد أصدقائه، فمن عادة حسن مطلك أن يحفظ وأن يدون بخط يده القصائد التي تعجبه. واخترنا -بعد حذف أل التعريف- أن يكون عنوان إحدى قصائده -والذي وضعه بنفسه- عنواناً للديوان (أقنعة) لما حملته من رأي وموقف فكري مضمن في الشعري، ولأن حسن مطلك، في عناوين بعض مسوداته الأولى -كما هو الحال مع روايته (قوة الضحك في أورا)- كان يميل لاستخدام مفردة (أقنعة) فأسماها مثلاً: أقنعة أورا، أقنعة آدم، أقنعة آب، أقنعة دلهوث..

أما تلك التي كانت بلا عناوين فقد اخترنا لها عناوينها من بين كلماتها.

وفي الختام، لا نستطيع الادعاء بأن هذه هي الأعمال الشعرية الكاملة لحسن مطلك، وإنما نُبقي الباب مفتوحاً لإضافة ما قد نعثر عليه لاحقاً أو ما سيمدنا به صديق له.. ومفتوحاً أيضاً لأي تنبيه يتعلق بهذا الشأن.

د. محسن مطلك الرملي

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

قصة الريف

حَط الجراد على النارِ
فالحقائب والحاسبات
والنسوة والنعاج والفأس
هناك المنجل ذو النصل،
وحمدان شوكة أمام التلفاز
هناك التجاعيد والمنحدرات..
يحدثُ أن ننقسم بالتحية اثنين
نعاهدنا بالرجوع إلينا كلما ضيعتنا الشوارع
فالمرأة شوك
والسرير عظام النوافق
والجراد عزيز كالقهوة
أما النعجة ..؟

* * *

Twitter: @ketab_n

حمدان فينا

تحط الحقول على كتفيه

فيحلم بالأمزون

حمدان تلك المراعي القصيّة، بيض القطا،

.....

.....

.....

.....

.....

.....

Twitter: @ketab_n

الأقنعة

الشاعر: شخص كتبَ قصيدة عظيمة ثم أضاعها.

أُنظر:
«هيجل» رجلٌ عظيم،
لأنه أضاع الفلسفة
ولم يجدها «غاستون باشلار»،
لأنه نظرَ إلى السقف بوضع مقلوب،
.. لأنه فكرَ بالتفكير ..
لأن المهزلة لم تزل قائمة.

فقد ماتوا جميعاً ..

فقط، أولئك السوفسَطائيون،
رجالٌ أضاعوا المعرفة،

Twitter: @ketab_n

لأنهم لم يتحدثوا عنها أبداً

.. إنهم عظماء

فقد اعترفوا مبكراً

بأن صوت العصفور يعلو

على أرسطو.

Twitter: @ketab_n

الساحل الأيمن

- 1 -

لأجل ارتفاع الحواجز،
والوقت كالسيف
ابتُكِرت جميع الفضائل..
بما فيها الصفع وقت اللزوم
لأجل الماضي الملبد بدخان التبغ
والزوايا ..
حرمة الطريق الآتي إلى النهاية
السقف القريب
واللحم المفتت
وأصوات المنسيين من أقربائي،
حيث تموت اللذة في مد اليدين،
إلى الجانب،
اليدان إلى الأمام ..
إلى فوق

Twitter: @ketab_n

تموت كلمة اسمها: حرية،

كلما أورقت شجرة النسب

تعال يا (أنا)

نقدسُ معاً هذه الرائحة في الجسد الواحد

تعال ننسى الوقت بآلية عض الشطائر

ننسى البكاء

فإننا لم نعد هنا أبداً

لقد أصبحنا (هناك)

ولم يعد ثمة شيء في العالم

يستحق الحزن.

- 2 -

الريح تقشر أسلاك النافذة،

والسحاب يلامس الحجر

وأنا، وأنت

نستضيف صديقنا الذئب

يضع يديه على الخبز ويُقسِم:

Twitter: @ketab_n

باسم البراءة..

أفتح له المعنى العميق

لمفهوم الطاولة

من حيث أنها أداة

كالخيال البارد تماماً

كالخوف الأول من العادة الشهرية

كالنسر الذي فقد ريشه

في حفلة مصارعة

ننكر حركات الصلاة

ونعترف بقوة الذئب

«عندما يطوي صمتاً رقيقاً

على المائدة ..».

Twitter: @ketab_n

من ورق الحرب

حط نسرٌ على شفتيَّ
نسر قومي، طويلة تظل الحشائش
أبليته ورق الحرب ثم عودته للقتال الوبيل
بيت على الغيم سميته منزلاً للشقائق

عاد الجنود من الحرب
والنسوة الباسقات أوقدن نار الحصان على التل
حط صقرٌ على بيتنا القروي
فتحت المزاليج.. قُـررررر..
عينهُ، ريشهُ الذهبيّ، منقاره المنجليّ
نسرٌ ؟!
من ذا يقاسمني الانبطاح على العشبِ ؟
أو نُنوّط شعرَ الصغيرة بالشوك البريّ ؟.
كفاكِ، أقدامكِ الحافيات، قومي العمالقة الفاتكون

Twitter: @ketab_n

ونسرٌ بمنقاره المنجليّ يخدش غيم الحقول

فتحت المزاليج.. قُـرررر.

* * *

حقول البنادق والقمح، خيطٌ من النار

إذ أتوقف. أغضب حين أحب البكاء

تنزلق الفاتنات على التل صُعداً..

أحب الأخيرة منهن، ترسم لي شارة للسجال..

وتمضي.

أحبُ الأخيرة منهن .. تمضي..

غضبي، فوق دفء الجذور المُطيَّنة، القرمزيّ

الماء فوق السنابل،

والضوء يشربه الحبّ حد النيازك

قليلاً ..

قليلاً ..

Twitter: @ketab_n

نسجت على بدلة الحرب حرفين من اسمها

وقد مر نسرٌ على المستوى، فانثنى عاشقان معاً.

حبة القمح منقاره، والعرازيل خوافيه

تنقسم للشهادة والحب

ـ أرثيك حين أتحداك.

بيتي على الغيم،

والنسوة الباسقات أوقدن نار الحصان على التل.

1987

Twitter: @ketab_n

اكتشاف

كُن سعيداً مرة واحدة وانتحر..

مرة واحدة فقط

مرة واحدة

أقول لك ـ وهذا اكتشافي ـ

بأنني الناجي الوحيد على جبل الطوفان.

وأقول بأنني آخر من وجَدَ

السعادة وعَزفَ في ثقوبها.

لن أسمع صرختك وأنت تقول لي: هي كذبة.

هي كذبة حقاً في أيام الديم.

لم أتعلم كيف أُهمل نفسي وأنساها،

كيف أرميها خلفي،

حسبي أن أرقبها بلذة:

هذه الصراعات التي تنتفض كالأوراد.

هؤلاء البشر، الأحباب الفانون بعثروني ..

هذه نفسي وتمردي الهادئ.

14/12/1983

Twitter: @ketab_n

القصيدة الزوجية :

أفاقت من النوم كالغجر المغبطين.

أفاقت..

يجزئني حلفها

والصعاليك في الدربِ غطوا على القارعة ..

لي امرأة من حليب العصافير، أسفلها طافح في الهواء،

وقَسَّمتُـني مزقاً ثم أطعمتها،

وأطربتها بدنو ثم أخرجت :

موال يابو زِلف عيني يمولية

كل المخابئ غدت في الليل وديّة

والقلب أثلجه دفء وأسكره

والناس منسية .. والشمس منسية.

قالت تغني: فأين الرقص يا ولدي ؟

عرس القبائل في رقص وحرية.

أفاقت يدغدغها منجنيق الذكورة واستسلمت للرقاد

على ساعدي.

Twitter: @ketab_n

خبرتني عن الأهل والمنزل القروي،

وخبرتها عن خطيئة هذي البلاد التي مزقتني،

على ضوئها كنت فصّلت سري وكحلتها بالرماد

.. المعسل حتى انتشت..

الشواطئ والنار والذكريات..

لها كل ما يملك القلب من شبق وبرود،

على السطح ناديتها،

حتى اشرأبت خطاي على السلم الخشبي..

صاحت:

ـ وويــلاه..

ـ ما بكِ ؟!

ـ نقطة حبر على صدر جلبابك القروي.

وكانت عطور المزارع تأتي

على السطح تنشر قمصانها.

26/1/1984

Twitter: @ketab_n

وواصلت ذياك الخليج بنهديكِ،
ولوحتُ في جزرةٍ برهة وندمت.
تنهدتُ : وا حسرتي وانكساري..
وفي حلمتيك انبلاج التباريح
ينكسر الموج على ساعدي، ناكراً موعدي ووعيدي
وسميت هذا التضرج معتقلاً، وسميتها ..
(مريماً) أو حساماً، وسميت نفسي..
عجينة شرق البلاد ..
ينكسر الموج على ساعدي.
أنكر الله والخلق والمشرفين على غابة البيت.
يأوي التلامذة العاطفيون إلى شرفة
في الفراغ، يأتون بالصور القرمزية والناي.
يختلط الليل بالبيض والاشتقاق
نُحَمّي عصانا على جمرةٍ ثم نوغلها فيكِ..
تبكين، تقطرُ سُرتكِ الأنثوية تمراً وحناء.

Twitter: @ketab_n

رسمت على الغيم بيتاً من الطين،

زينته بالطباشير،

أسكنتكِ الغرفة الضيقة،

ونمتُ على ساعد لفهُ الشحم والزغب الأنثوي.

توجتُ نهديكِ بالشوكِ،

تأوهتِ نحوي.. كامرأة.

وأوغلتُ سري بقطعتكِ المظلمة،

تأوهتِ نحوي كامرأة وانثنيتِ إلى مطلع الشمس

أمطرتِ على عاتقي عَرقاً ونقوداً.

* * *

هبطتُ، هبطتُ، هبطنا معاً

هذه الأرضُ

هذه صلبةٌ

هذا المسيح على الصليب

مسحنا بأقدامنا قلبه وصليبه.

Twitter: @ketab_n

تمنيت أن أشرب السوقَ ..

أن أحمل الواجهات على جبهتي.

فَـزَّز الغيثُ رعياننا وقرانا

نبتَ العشبُ بين الأصابع،

في الكوع،

في الشفتين.

نبتَ العشبُ على الحلمتين.

كلابٌ تطاردُ نسراً وملعقةً

تحط على العشِ،

تنهش من قامتي وأناملَ جَدّي.

وأغويتُ تلك الروابي بأرملةٍ،

تطوحت في قمرةٍ،

ثم ضحيتُ بالهدهد الشبِق

سمعتُ المياه،

الرعاة،

الأفاعي الجميلة.

Twitter: @ketab_n

سمعتكِ في الصيف كاشفة الصدر والمنكبين.

رضيتُ على من يريد منازَلَتي.

تراخيتُ حتى أتاني حصاناً،

فطرتُ كقبرةٍ من أمامي.

هطلنا مع القطرِ في فسحةٍ،

ذبحنا السمينة،

شربنا،

نثرنا العظام على القانعاتِ.

«قمرةٌ، وربيعٌ، وموتٌ قليل».

مَــن ينازلني ؟؟

برزت حلمتيكِ على النار محمرّتين.

تراخيتُ،

وأطبق جفني سلاماً ووعداً

سقطتُ أُغازلُ فتحتكِ الذهبية.

* * *

Twitter: @ketab_n

كان ليل الشتاء الوحيد الذي ساقني للتجول في
محبسٍ بلديّ علا العشبُ جدرانه والكتاباتُ
«ذكرى فلان الذي مات منتحراً بالنصيحة،
ذكرى الأحبة والجلسات، ذكرى الحبيبة في
باحة الدار تكنس أعقاب دخاننا حين كنا ..
عبيداً لسكرٍ جميل. كان صيف الشتاء طويلاً،
وظلُ المصابيح منتشراً، والحقول البنادقُ،
عسعس الليل، جيبُ الشتيمة، أفراحهم
.. ثم منجلهم في سراويل جدي القديمة.
حضيتُ بخاطرةٍ في زوايا الجرائد، وسميتها
صنع اسمي. وأهديتها لرجال تعادوا معي
ثم ماتوا على التل أو في الحدود البعيدة.

12/12/1983

Twitter: @ketab_n

أحباب

أحبابي ـ أماه كيف تبكيني ـ هم الذين فتتوني.

أنتِ بالذات حبيبتي، أصدقائي، الذين يصافحونني بحرارة

وقد نسيتُ وجوههم،

الذين يتسلقون قامتي ليقبلونني

يثقلون عليّ ويغرزون أقدامي في الحصى ..

لا أبغي الاعتراف مع نفسي بأنكم جميعاً .. سبب

شعوري بالخسارة أيها الأحباب.

نويتُ أن أتوزع فيكم لتكبروا ..

واحداً ،

واحداً ..

إنكم تجهلون بعد .. حرصكم الذي شوهني،

.. تجهلون أي ثقب يثقبه الحب.

Twitter: @ketab_n

لدي استدلال لا يخطئ بأنني ..

أكون عملاقاً عندما أكون وحدي،

أو .. وحشاً جميلاً ..

وحدي لي مملكة وعرش ..

وضرب من السلوك ..

18/12/1983

Twitter: @ketab_n

توابع المشتري الذي أحب الأرض

أنزلُ نحو برج التزلف،

والفتاة المريدة ورَّدَت خلف ظهري خواتيمها.

بينت أنها عانسٌ ووريثٌ لرمزي.

يداهمني العار والمسطبة.

يداهمني الحرس الفاترون بزيّ حريميّ :

رجال المكائد والبئر، والصخرة القوقعية.

أجبتُ فصيحاً بلعثمةٍ.

أجبتُ عن النار والكوب والمُقعَدين.

شرحتُ صفات العناكب في قدحٍ ملَكيّ.

فتتوا قمري، عبثوا بنجومي، سرقوا السر

والعطر من زوجتي.

* * *

Twitter: @ketab_n

أصعدُ نحو برج الركام
لي امرأة نهدها مُورق في الصيف،
غدت بزعنفتين ..
غدت بالتهافت أرملة لقريبي.
نصبت الفخاخ على ردفيها،
وأطعمتها زاجلاً وعصافير،
تناسيتُ أني وريث التشتت والتعب القروي
تناسيتُ أني حصانٌ بسرجٍ صغير
وناصفتها الملح والطاولة
وثالثتها الحبر والأسئلة.
صارت برأس حزين، وفي غابة للعفاريت
بقلب كسير، وساقين ممتلئتين.
تمر الثواني خفيفاً..
وما بيننا غبطة واقتتال،
وأسئلة وانفجار بليد.
وما بيننا غرق وانتشال وزقزقة.
تزوجتُ صورتها ورداء بليل.

* * *

Twitter: @ketab_n

أصعدُ نحو برجٍ على المشتري،
تهرب حذاء الجدار وترسم بمخلبها فوقه..
ثم تضحك..
على الشق علقت جسمي بمسمار بلعومها
بدأت بسرج ومطرقة،
بالتوابل، بالغيث، بالشهداء
يجندلني تعبٌ في براري الفراش،
وأسمو على غضبي ومزاجي
.. كأنني أُرقق كبريت عاطفتي..
كأن المسامير خيطٌ من البيت أو قطرة من حليب
وتطعمني قلبها حامضاً وطرياً.

* * *

أصعدُ نحو برج عميق
أرى خاتمي وحذائي وموتي
أخبر النافلين بزي الترجي

Twitter: @ketab_n

وحطاب تلك البلاد وعرّافها:

ضيعتني التواريخ،

ضيعني السلف الصالحون،

ضيعتني البراءة والصدق.

لماذا ولدتُ برأس وكفين مبسوطتين،

وكُبلتُ بالاسم والدِين والعائلة؟

.. لماذا يساعدني الرب كي أقتله؟!.

30/12/1983

Twitter: @ketab_n

الانبهار بالضوء

أولئك الذين استظلوا بشجرة القرفصاء

لم ينفع بكائي أو زفرتي في سحبهم خارج الظل

طلبتُ منهم برجاء

أن انسحبوا بعيداً عن قيمة تُشبِه المعرفة بالأشياء،

أو هي عين الناظر الدقيق

شيء يقترب من الحقيقة أو يشم رائحتها

ليس ثمة واقعة في الحياة لها صلابة الصخر أبداً

إنما .. هناك كبس شديد على أوراق النفس،

ضغط فضيع على مسالك البول

والتنفس.

على حين ..

أبصرت الواقف وحده، مطرقاً نحو نقطة كصورة

لغَزْلِ مثالٍ طائر.

إننا نريد الرقص مثلما نعلن عن العيب فيه.

ونريد الهَدهَدة الخفيفة مثلما نعتبرها خاصة بالأطفال.

Twitter: @ketab_n

كـذلك ..

نريد الثقافة كلذة ونمقتها كألم.

على أننا في السر يجب أن نتحد بضدينا

.. عندما نرقص على حافة نهر أو نقضم التفاحة

على طريقة السناجب.

أكادُ أتمرد على صورتي واسمي

وأحس بهذا الإحساس

بوجوب عدم إزعاج صديقي وهو نائم

فأمشي .. على رؤوس أصابعي،

أو يأخذ هذا التمرد شكل السلوى..

وصورة الانبهار بالضوء.

29/1/1984

Twitter: @ketab_n

رسائل إلى سلمى

- 1 -

من حافة مسقف كبير يحوي سبع عشائر

البرد نخر عظامي

على الأرض أنام مفترشاً قطع الكارتون

وأتسلى بقرط البسكويت

مع ذلك..

أنتِ معي دائماً

في كل لحظة..

أحلام طفل مهذب يحبك حتى التفتت.

وجهك يزورني كل صباح،

كل مساء،

كلما امتدت يدي إلى جيبي لتشعل سيجارة.

آه.. سلمى.. عذابي وعطشي،

كينونتي المقهورة على الحافة،

ثم طاقتي المتروكة بقصد،

Twitter: @ketab_n

وما يمارسه الآخرون من قتل غير مؤدب لشخصي..

أبداً لا أحسكِ قريبة مني

.. بعيدة.. أنتِ.. يا سلمى،

هناك في

نينوى مدينة أحلامي وطيشي.

مع ذلك .. أريد

أن أضع أنفي في شَعركِ وأشم

ومع ذلك .. أيضاً

شوقي إليك واحتضانكِ

.. هذا الشوق يجزئني

أحس بيديكِ

أحس بهما تديران رأسي نحو الجدار القاحل

أحس بهما.. ينتفش شعري شبقاً

ليتني أطمئن إلى يديكِ إذ

تعدان فنجان القهوة لشخص منفعل مبهور بالضوء والخلاص..

أحبكِ محنة لذيذة كمحنة اللون

ودنوي من آخرين يجدون الثرثرة

Twitter: @ketab_n

على نسقي ينامون

ثم يغتصبون عزلتي بهوس..

في هذا المنفى

الأرض مغطاة بالملح

وأغان وبرامج بذيئة

ثم رجل يصلي إلى يميني

لكن صلاتي؛ أن أطمئن

أن أتوسد نهديك

ثم أنام.

2/2/1984

- 2 -

خمس رصاصات في جيبي

قلقٌ

ممزَّق

أكاد رغم قوتي أبكي.. أكفر

ثم أعود معتذراً من إلهي

Twitter: @ketab_n

إنني أستمطر الطمأنينة والسلام.

لكم أنا خائف.. خائف يا سلمى!

لا شيء يخلصني من هذا الغرق غير وجهكِ

وجهك الذي يحاصرني كل دقيقة

ابتسامتك التي تنزل إلى أعماقي برداً وسلاماً

وعطرك الأنثوي يُجعدني ويمحوني.

ليلاً أنتِ معي

نهاراً أنت في رأسي وصدري.

أين ذلك اليوم الذي أضمك فيه وأموت!؟

أحبكِ.. وأموت

أشمكِ.. وأموت.

أرى سلمى تطلع من كل زاوية

وتشرق من كل جدار.

قلت إنني أتمزق ولكن لا أستغيث

ـ يا صبري الهائل .. أصبر أيها الولَد ـ

أنت عاقل..

لابد لهذا المنفى من نهاية.. مثل الحياة.

Twitter: @ketab_n

لقد جنيت لوحدي عناقيد القلق

هكذا أرتُ لنفسي أن تكون

طالما حلمت كثيراً

رفعت نفسي عن القذارة

وحالفتُ النقاء

حالفتُ اللون الناصع،

الكلمة الصادقة

واحتملت أصحاباً يزلون كل مساء..

واحتملت..

أراكِ في اللحظات تطلعين من وجعي.

- 3 -

سقطتُ من ظلمة الرحم إلى ظلمة الحياة

ثم سأنتهي إلى ظلمة القبر

ولا شيء يحيط بي غير هذا الدامس اللزج

أشباح وكائنات حولي.. تشبهني

والذي يناديني نهر سلمى

Twitter: @ketab_n

بيتي الذي تصدح في جوانبه

أنغام شوبان ورائحة الشاي الهندي

كتبي وألواني ملقاة على الطاولة

أريد مبتدئاً من لحظتي أن أكشف عن رغبتي

أن أخرج من الدقائق إلى ما وراء اللغو والانفعال

إلى صخور تحن عليّ

وأرض أعانقها

أريد أن أستعيد إبصار البوم

أن أكتب في الظلمة لأكشف عن نفسي قشرتها

أرتدي قميص حبيبتي وأزهو

سيئ أنا مادمتُ لا أجد من أشكو إليه وأحتضنه

سيئ أنا إن لم أحب سلمى حتى أخمص القدم..

حتى الشَعر المعطر بالصابون

بين سقوطي وانتظار خروجها مبللة من الحمّام

أجد الزمن بطيئاً ومخدشاً

أجدها هناك تغني بين جدران أربعة وتنزلق مع الرغوة

أشير إلى الخارطة

Twitter: @ketab_n

شمالاً: حسن في المقعد بانتظار

فكرة معجونة بلذة العشب.

جنوباً: أمد يدي إلى ركام أوراق كتبتُها

فأقرأ قلقي.

وشرقاً: تشرق سلمى مكحلَة

أقرأ لها شِعر رامبو وأراغون.

وفي الغرب: أنظر إلى وجهي في المرآة

فأجد طرف فمها يبتسم خلف رأسي.

خارطة وحدود وحرب يقودها الاحتمال

صدري مهيأ لطعنات سلمى

وأذني مهيأة لسماع هدهدتها.

Twitter: @ketab_n

.. إلى صديقي ناصر[1]

عطرُ دمي يتدفق في شقوق دكة المعبد..

الدم الدافئ. البنفسجة المصبوغة بعسل الزنابير،

تأتي امرأة من باب القبة حاملة زيتاً وناراً..

تلمع عيون العابرين، يخرون في ركعة واحدة

أقرأ معجم الأقاليم، أشم رائحة العرش ..

الخشب المُنقى بماء النار.

تأتي امرأة، بين فخذيها سر تلك الحياة..

.. تأتي .. فجأة .. أتذكر البجع الأزرق، وجيوب

المناقير ..

أُحبها .. وأموت.

* * *

1 . ناصر محمود صديق حميم لحسن مطلك، اشتركا معاً في محاولة قلب النظام سنة 1990 وأعدما شنقاً في السنة نفسها.

Twitter: @ketab_n

تلمست أطراف الأصابع، أصابع ..

الأخوة البشر، شوارعهم، أعراس عذاراهم،

ليمُونهم الذاوي في الزنابيل.

لي أخٌ لحمه من عاج وإسفلتٍ. عطره

ينبع من العدم. شجرته الوحيدة تظلل

الكتاكيت الصفراء.

قالت أمي: حبَّهُ، وأحذره. وقالت أيضاً:

ألبِسه رداءك، وخلّ وسادتك الصوفية لرأسه..

وصارع معه (خمبابا) إله الغابة الشوكية.

قالت: خذهُ لك.. وإن لم يخرج من رحمي.

أتذكُر ؟

صباحاً حطّت امرأة على خشب الشرفة

ناديتها أن: اخلعي الجورب،

والبسي عدة الحرب.

كان حريّاً بقلبي أن يقتلك ثم يبكيك،

وعيني أن تزجرك وتبسم لك،

وأسناني قرقَطَت كعكة آخر الليل.

Twitter: @ketab_n

هواجسي وموسيقاك التي خدشت ..

عصب الذل.

حَطّت امرأة: كنتَ بهياً، مستوفزاً،

بعيداً، معقوصاً في طرف الحاجب الأول،

مهرولاً على مساحة الصدر..

كنتُ أشمكَ في قميصي ونقودي،

وألفة أطرافي .. وغنيتُ لكَ

وللمرأة التي طارت.

9/12/1983

حدث ناصر بن محمود قال:

عن قرعة النساء والروث الطري، والبول..

لأجل أن تنبت ضفائر غليظة..

البول للحمير.

* * *

Twitter: @ketab_n

إنه يجعلني اضحك

لكي يجعلني أسعل

لكي يجعلني أبكي

أو يخمشني برّد اللحاف الخشبي.

24/12/1983

ناصر..يا أخي..

حين أردنا اللقاء ببعضنا

كان أحدنا..

يفر من أحدٍ

كنتُ هنا ذات ليلة

وكنتَ أنتَ في مكان ما..

لا تحلم بشيء أبداً،

حين بقيتُ أحلم بكَ.

1985

Twitter: @ketab_n

لـم أنَـم

لم أكن لأفقأ المصباح العمودي لو لم أدوس على

.. أجساد عصافير تصيء وهي ميتة.

كنتُ غريباً عن نفسي، في زقاق نساءٍ كشيفات الصدر.

.. آه .. اللحم البض، وساقية الصابون..

تجري من بين قدمين حافيتين جميلتين.

ألمس القلب العاري فيلسعني برد آخر الليل

وسوّاق الأُجرة السكارى.

أسمعُ جنيناً يدقُ على جدران البطنِ

أسمعُ نفْسي تحاذر الكلام معي،

تلك الأنفاس اللاهثة في تلافيف الشَعر المَعطر،

تلك الكروش المسنودة بأحزمة جلدية لباعة الخُضار،

وكلام الفتاة العابرة، تخز إسفلت الرصيف.

الساعة برج الكنيسة المُزين بفضلات الحَمام،

شياطين القاعات الخلفية، قاعات السينما الضبابية.

.. من يمنع هذا الرقص في داخلي؟! .. هذا

Twitter: @ketab_n

.. الذي يفتحني عنوة له التعاطف ولي الخضوع،

.. الذي يرتب فوضى العصف.

.. الذي يفقأ عين الحكمة ويكره الإغريق.

حسبتُ المسافة بيني وبين إنسان العالم

الآخر - إنسان الكرة الأرضية - بِـالوَنَّـة

والـوِد،

وفسرتهُ على أساس ما بيني

وبين بائع الفلافل من ابتسامة وابتزاز

وفسرتهُ على أساس اتساخ الرصيف ..

الموحل بأجساد عصافير جميلة وبقشور الفول

المُلتم بشراهةٍ من قبل أطفال المدارس.

لـم أَنَـم ليلتها ..

وظللتُ أعد الندب السوداء في السقف

وأطلبُ الصفح من رجلٍ لا يعرفني.

لـم أنـم ..

إلا أن صراعاً بدأ بيننا.

11/12/1983

Twitter: @ketab_n

يا ريح شمال الأرض

في عمق الليل الداكن

كنتُ أنادي نفسي

أستخرج منها ياقوتاً

أُبحرُ مشلول الأطراف على متن شراع.

مرحى يا لقيا النجم القطبي ..

يا ريح شمال الأرض الساكن.

هب لي ثلجاً من لدن الله و قُوتاً ..

يا ريح شمال الأرض تغربتُ

وغابت خلف الأفق الدنيا.

صرتُ أُشاهد نفسي في مرآة البحر ..

غريقاً ألهثُ خلف شراع واهن.

أبحثُ عن بيتٍ يؤويني،

ليس له شكل أو طعم أو لون.

بيتٌ لا يحمي عريي من حر الشمس.

إني أعشق نور الشمس ودفء الشمس

Twitter: @ketab_n

يا ريح شمال الأرض خذيني
صوب حبيب هاجر نحو القطب.
خذيني للحلم البيت ..
خذيني .. يا ريح خذيني
نحو القطب .. لدنيا لا تعرف لون الدم.

كنتُ حسيراً أنتعلُ الدربَ
أُيمم وجهي شطر جبال الوطن المجروح،
شطر جنوب الوطن الدامي.
ابحثُ عن أمواج البحر
عن شيء يغسلُ آلامي.
نساء بلادي باتت حَيرى،
ورجال أَعتقت الروح.

كنتُ جريحاً أترقبُ من يوقف نزفي،
وشغوفاً مثل حصان يرقب أفراس النهر،
لكن النخلة كانت تذوي.

Twitter: @ketab_n

الليلة أبصرتُ الموتَ بعينيّ،

يرقص فوقي ويمص بخرطوم البعوض،

وأنا أُبحرُ نحو العمق البحري ..

أستجدي :

يا موج البحر ..

هبني حبة قمح .. هبني.

الشمس الذهبية تخلع أسمال الثوب،

تتعرى فتراودني عن نفسي.

أُغلق عيني فيحرقها ملح الأرض.

كنتُ جباناً أمطرُ وجهكِ بالقبلات،

وأخنقُ إبهاميكِ بكفي.

أُبصرُ في عينيكِ غبار الهرج الليلي ..

ونخلة جدي ذبلت،

وتخلت عن ورق إبريّ.

نخلة جدي أجهضت الحمل .. وماتت.

Twitter: @ketab_n

خذيني يا ريح شمال الأرض خذيني،

أعاشرُ أفراس البحر

وأزني بصغار الحوت

فهذا وطني يتعذب،

ويخمد نفسي بأصابعه الدموية.

22/4/1982

Twitter: @ketab_n

أعتقدُ بأنني أحبكِ

* * *

السماوات مرتفعة،

والنباح يصعد من الأرجاء.

النقيق في البِركِ،

وحين تعوي الذئاب تكون تلك الساعة وقتاً ليقظة الحشرات.

الشرُ فكرة، والحبُ غريزة الخبز

وما على المرء غير البكاء بين العمودين.

للحرية طعم أسود كالشجر،

والأنثى انعتاق من الربوبية والشيطان.

.. أيها البرد الموجب،

النقيق،

Twitter: @ketab_n

الألم في الرأس :

مَن منا يعلم بشفاء الآخر ؟

ومَن ذا الذي يمجد رفيقه في الصلوات ؟

لقد سقط القمر في المستنقع،

حيث بدأ نشيد الضفادع.

لقد سقطنا في الفراش .. كلٌ يمجد جرحه

إنما : البرقُ،

والحفيفُ،

والشهوة،

والعزفُ من أسماء الليل.

1984

Twitter: @ketab_n

يا لكِ!.. هذا الخجل..

ابعدي عني ـ أنتِ جميلة بحيث لا أقدِر ـ

زاوية العين الواخزة.

أمي قالت: «أحذر النساء..».

وحين سلخَ الخريف جلده،

تشابكت سلامياتنا

ولم أعرف من أي معدن هذا الجلد.. جلدكِ

حين رفعَت الريح طرف الثوب،

وحين بكيتِ لأجل اغتصابي..

أينا كان الأنفع للآخر؟

جمرتكِ أم رُمحي؟..

لابد أن تمر اللحظة، ولو ابيضّت السوالف،

لأجل فك الاشتباك.

يا سيدتي..

لقد صوَّرتكِ الصفحات تنيناً،

Twitter: @ketab_n

ولا أستطيع الاقتناع بأنكِ امرأة.

.. مراراً.. مراراً..

أجلتكِ لكي أجدكِ

أُبعدكِ لكي أعثر عليكِ،

وخفتكِ لكي أأمنكِ.

رحنا ننحتُ المرأة في الصخور

أذكرُ أني قرأت مجلة أثرية،

ورأيت رجلاً، من عصر النار،

يرسم الثور المسهوم على الكهف.

كان شَعره أشعثاً، وعصاه مجعدة.

وكانت امرأته أرَق من اللهب الأزرق.

وفي العصر الحجري،

بالضبط في القرن العشرين،

رسمتُ امرأة على أوراقي وطعنتها برأس القلم

رسمتها على الصخر وطعنتها بالفأس..

ربما قشطتُ وجهها بالأزميل

لكي تصبح أكثر جمالاً وألفة.

Twitter: @ketab_n

.. مع ذلك،

لم تبقِ فلساً في حافظة نقودي.

ذهبَت لشراء البقول،

قالت: «لقد أُستُهلِكَ ثوبي،

منذ أيام لم أبدله بثوب جديد».

وقالت أيضاً: «بصراحة.. أنا لا أحب البقول».

قلت لها: اخلعي الحذاء وامشي على العشب حافية

.. ما أروع أن أرى أصابعك الصغيرة يطمسها الندى!.

قالت: «لا يسرني تجعيد سطح العشب».

1984

Twitter: @ketab_n

مـقـاطـع

- أ -

أراد «أوتونبشتم» أن يستحم على صخرة تلامس
شاطئ البحر. علق لحيته المستعارة على غصن شجرة
ونسيها. وعندما عادت الطيور من الهجرة وجدت اللحية
عشاً جاهزاً فباضت وفرَّخَت بها.

- ب -

أُشبِّهكِ بمضرب كرة، بزجاجة جعة. أُشبِّهكِ
بضفدعة صفراء، عندما تصبح الحرية مهملة كحذاء قديم،
وتقف بمستوى النظر كمسمار في خشبة .. حيث
لا شيء خلفكِ غير الضباب.

- ج -

عنصر لا ينتمي إلى مجموعة النباتات السامة، رغم ذلك،
سأسميه «غوسج» نبات فطري قبيح يتصف بصفات البشر.
بجبين ندي متسخ مثل قِرَب السَوَّاس، يبصق كثيراً عندما يأكل.

Twitter: @ketab_n

ـ د ـ

«عوسج» بدأ بمداهنتي، ربما ليسرق قطع النقد التي خبأتها في جلد الكتاب.

ـ لماذا تقص أرجل السلعطون ؟

ـ لأنه لا يمشي للأمام.

ـ هـ ـ

لماذا يا سيدتي، أيتها الوعِرة ؟.. ربما ترسلين لي رسالة ليلة العيد، تقولين: «مرحباً». وتقولين أيضاً: لقد تخليتُ عن صاحب النظارة السوداء. وأنا أعلم أنكِ تكذبين .. البارحة كذبتِ.

أنا أيضاً سأفتح الرسالة وأموت.

1984

Twitter: @ketab_n

عـشـتـار

عشتار.. يا ابنتي..

.. من المنفى البعيد

أكتبُ القصيدة المحطمة.

إليكِ يا سيدة الشواطئ الجميلة ..

وبابل القديمة تحاصرها الرياح والعساكر ..

إليكِ يا صغيرتي اشتقتُ

مُذ نُفيت ..

إلى عناق أمكِ الحبيبة «أفروديت».

عشتار .. عشتار

لقد نأى الصغار كلهم،

.. لقد نأى الصغار

يا عشتار.

1982

Twitter: @ketab_n

الذي بيننا

تعودتُ في لحظةٍ أن أراكِ ميتة بيّ
تعودتُ في صغري أن أحب التي دللتني
أحب التي قادني الشوق من شفتيّ نحو بيتٍ لها
أحبُ التي بزغت بين أنقاض همي،
تقاسمني قطرة الماء والقبلة الساخنة
أحبُ التي رقصت فوق قبري وغنت
لأن الذي بيننا كان صوماً وطهرا
وكان عذاباً لأجل السعادة
وهمساً كأصوات رعد الربيع.

1982

Twitter: @ketab_n

أشير تعالي

أشير تعالي. تهزين كتف التمنع، تقولين:
قِدري على النار، والنار هادئة والعجين قليل.
رأيتكِ مُورقة في ثقوب الحدائق والنمل
ينزرع الماس والأقحوان المُحلى بعينيكِ.
أشاطر امرأتي غبطة البوح، أطرحها في العراء ..
أضمُ الفراغ البليد إلى رئتي، تمتنع زوجتي عن ..
أداء التحية .. أطرحها في العراء ..
«خرجَت نملةٌ، أخذت حبةً ..» خرجت
كفكِ الذهبية من أضلعي، خرج الطفل
.. من رحمكِ المظلم المتعطر. خرجتُ
أنا نحو تلك البرية أسأل الله أن ..
يصنع الطفل مقصلة للهداهِد.
أرميكِ في حجرةٍ صائحاً، يولد الطفل مني
وأنضو جبينٍ يزينه العَرقُ اللؤلؤيّ
تنامين هادئة في فراشي وسري وأقبيتي.
أُسميكِ : مُرسَلَةً ثم أرميكِ فوقي.

8/12/1983

Twitter: @ketab_n

فتوحات

إنني أهيئ نفسي لقفزة الافتراس.
قريبة هي الساعة التي سأعلنُ فيها
لكل شيء: وداعاً..
ولكل شيء: مرحباً.

* * *

حين نفخت ريح عالية في الغابة،
بدأت الأسود تتظاهر بالنوم.
أعتقد أنني أحب الطحالب التي هي مُلك للماء.
السيد الحنطيّ،
أيها النمر الذي يشبه عباد الشمس..
أين هو الفرح الذي أضعناه بالمسرة؟
أين الساق؟
.. السُويق الصغير؟

Twitter: @ketab_n

لا أستطيع أن أكسر قشرة الحديد

وأخرج إلى الناس شاتماً،

بأن: غيّروا هذا المَنهج

.. غيّــروه.

كلما حاولتُ أن أحمّل نفسي مشقة الجنون،

اعتدلت

.. من ذا الذي يدلني على عروة الحب؟!.

الحب هو أكثر الأشياء تعرضاً للصدأ.

Twitter: @ketab_n

تجربة

ـ 1 ـ

الآن أتكئ ..

أمامي حافة، حالة صالحة لإتقان التأنيب

كل مازال باطل ..

أنحني قليلاً عليَّ لأستخرج بعض الغموض

هذه رائحتي ملفوفة بجدول التربية

وللعطاس شكل النقاء

والحرف معوَجٌّ والكلمة هوجاء مسنَّنة

وللذكرى شكل المنجل المنحني

سافرت عبر النساء إلى جزائر الرومانس

كلمات تغيّر لون الوجه

كلمات ترطب الجسد

كلمات تقتل

وكلمات تكلّم ..

Twitter: @ketab_n

ينفتح فضاء بلا براءة

تحتي

.. آمل أن أقول: نسيتُ اللغة.

- 2 -

حول لا نقطة أدور ..

كالظل فقد جسمه

أتنفس في مثواي حيّ ميّت

تَمَسّك فوق أرض الصابون

تَمَسّك أكثر

.. حول لا نقطة تدور

جسم فقد ظله

أفرِد رئتيك وحلِّق.

7/12/1989

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

فـهـرسـت الديوان

تقديم ـ د.محسن الرملي	75
قصة الريف	85
الأقنعة	87
الساحل الأيمن	89
من ورق الحرب	92
اكتشاف	95
القصيدة الزوجية	96
أنا وأنتِ والبلاد	98
أحباب	103
توابع المشتري الذي أحب الأرض	105
الانبهار بالضوء	109
رسائل إلى سلمى	111
.. إلى صديقي ناصر	118

Twitter: @ketab_n

لـم أنَـم 122

يا ريح شمال الأرض 124

أسماء الليل 128

امـرأة 130

مَـقاطـع 133

عـشتار 135

الذي بيننا 136

أشير تعالي 132

فتوحات 138

تـجربـة 140

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

العين الداخل

كتابة حُرة / يوميات وقصائد

.. تذكرتُ الآن ما قالته لي تلك المرأة:

- أحبك.

فقلت لها: لا وقت عندي لغير الكتابة.. وكتابتي، كما تعلمين، ليست مطلباً ذاتياً خاصاً.. فالذي يدفعني بالأساس إلى الكتابة هي الغيرة.. نعم الغيرة.

- أتغار عليّ حقاً؟.

- أغار على وطني الذي كلما قارنت أدبه بآداب الشعوب اكتأبتُ.. ودفعني ذلك للقراءة والكتابة.. وستبقى تلك الغيرة تنهشني حتى أحقق ما يحققه كاتب عظيم لوطنه.. أو أهلك دون هذا الأمر.

جمعها وأعدها للنشر **د. محسن الرملي**

مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع

مملكة البحرين – ص.ب ١٨٣٦ هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٥٦٤٠٣ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٥٦٤٦٠

Website : www.aldosariculture.com Email: info@aldosariculture.com

جميع كتبنا متوفرة في سندباد alsindebad.com

سندباد alsindebad.com

9 789995 830045